



جامعة النيلين

كلية الدراسات العليا

كلية الآداب - قسم التاريخ

جهاد المرابطين في الأندلس

1147م- 541هـ / 1086 -479

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالبة :

عائشة محمد الأمين أحمد آدم

إشراف : البروفسور

الشيخ الأمين محمد عوض الله

(1442هـ / 2021م)



الاستهلال

قال الله تعالى :

﴿ وَلَوۡ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾.

(صدق الله العظيم).

"سورة الفتح: الآيات 22-23 ".

الإهداء

إلى أمي وأبي وأبنائي..

إلى زوجي

إلى أخواني وأخواتي

إلى كل محبي التاريخ الإسلامي

أهدي هذا الجهد للكل

ولكل باحث

مع خالص حبي وتقديري

الباحثة/..

الشكر والتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأصلي وأسلم على سيدنا محمّد بن عبد الله معلم البشرية وهادي الإنسانية إلى سواء السبيل وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .... وبعد

الشكر أجزله لأسرة جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، وخاصة كلية الآداب، قسم التاريخ ولأساتذتها الأجلاء.

وأخص بالشكر البروفيسور / **الشيخ الأمين عوض الله** الذي أشرف على هذه الرسالة إلى أن خرجت بهذه الصورة.

كما أشكر كل الأساتذة الأجلاء الذين قدموا لي المساعدة والتوجيهات.. وأيضاً أتقدم بشكري لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية ومكتبة جامعة أفريقيا العالمية ومكتبة جامعة النيلين، لما قدموه لي من مساعدة .. وكل من ساعدني بالحصول على المراجع.

ويمتد شكري للسيد/ أبوبكر أحمد شعيب الذي قام بجمع وتنسيق الطباعة..

مع خالص شكري وتقديري.

المستخلص

تناول هذا البحث جهاد المرابطين في الأندلس ومعرفة تسمية المرابطين بالملثمـــين وموطنهم ومؤســـس هذه الدولـــة ونشـــأته ومرحلـــة التكوين والتمكين للدولة.

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي الوصفي

قسم البحث إلى خمسة فصول: يتضمن الفصل الأول بناء دولة المرابطين وجغرافية بلاد المغرب ومرحلة التكوين والتمكين للدولة، والتعريف بالمؤسس للدولة عبد الله بن ياسين.

الفصل الثاني: دول الطوائف ودورها في اضعاف المسلمين في الأندلس:

قامت في فترة دول الطوائف عدة دويلات، تفاوتت في المساحة والقوة كما تفاوتت أعمارها وتوزعت الأندلس وحكم كل منها في الأغلب أسرة يتوارثها أبناؤها.

لعب ملوك الطوائف دوراً عظيماً في إضعاف المسلمين في الأندلس بسبب الصراعات بين طليطلة وقرطبة والانحراف عن المنهج الرباني وموالاة النصارى مما شجع الفونسو لأطماعه التوسعية.

الفصل الثالث: المرابطون ودفاعاتهم عن مسلمي الأندلس:

يعتبر يوسف بن تاشفين القائد العظيم لدولة المرابطين وقائد جيوش المرابطين في موقعة الزلاقة وشاركه في هذا النصر المعتمد بن عباد.

كانت الزلاقة يوماً مشهوداً من أيام الإسلام، وهي لا تعني فقط كف عدوان الفونش (السادس) ورد جيشه خاسراً، فهي مهدت لإيواء الأندلس وانضمامها لسلطان المرابطين، ومد عمر إسلامية الجزيرة الأندلسية لأربعة قرون.

الفصل الرابع: ضم الأندلس بالقوة والقضاء على ملوك الطوائف:

ساءت أحوال المرابطين ملوك الطوائف وعادوا إلى خلافاتهم وأفتى الفقهاء بخلع ملوك الطوائف. وتأتي صفحة أخرى من جهاد المرابطين في الأندلس وحدثت مواقع كثيرة مثل أقليش وقتنده وافراغة وسرقسطة انتصر المسلمون في أكثرها.

الفصل الخامس: سقوط دولة المرابطين : مرت الأندلس على حوادث كثيرة منها الدينية والاقتصادية والسياسية وظهور دولة الموحدين التي قضت على دولة المرابطين.

مما سبق توصلنا إلى النتائج التالية: قامت دولة المرابطين بالقضاء على ملوك الطوائف، ومدت عمر إسلامية الجزيرة الأندلسية وتوحيدها على المذهبي السني والقضاء على النصارى وإعلاء راية الجهاد.

Abstract

This Research dealt with the holly war of Al Moravides in Andalusia. Furthermore, I searched to fathom out why that “Al Moravides” were naming :“the masked men?”, besides to know their native home, the initiator of this State, his early life and the stages of the State’s creation and establishment.

In discussing this paper, the researcher adopted the historical-descriptive method.

This research has been divided into five chapters as follow:

The first chapter: establishmaent of Al Moravides State, and the geography of Maghreb states and the stage of formation and establishmentof the State. Further to hving acquaintance with the founder to the state who was Abdullah ibn Yasin.

The Second chapter: Sects states and the role thereof in weakening the Andalusia Muslims:

During the epoch of sects’ states many small states were created which were different in geographical area, strength and urbanization. Thereafter, Andalusia was divided into many states where each of such state was often governed by a dynasty on the basis of sons’ succession.

The sects’ kings played an important role in weakening the Muslims in Andalusia through the conflicts between Toledo and Cordoba and deviation from the Divine course, and adherence to Christians. A matter encouraged Alfonso expansionary cupidity.

Third Chapter: the Al Moravides and their supporting Andalusia Muslims:

It is worth mentioning that Yusuf ibn Thachifin who was the great leader of Al Moravides State and the leader of their armies’ in Sagrjasbattle where shared him that victory Al Moatamad ibn Abbad.

Sagrjasbattle was ever witnessed day in Islam. The word: “Sagrjas” does not mean only stopple of Alfonso 6thhostility and to return his military loser, rather such battle paved the way to accommodate Andalusia within Al Moravides’ authority, and to lengthen Islamic life span in And alusia Island for four centuries.

Fourth Chapter; Capturing Andalusia by force and wiping out the sects' kings:

Thereafter, the conditions of sect's Kings became worse, and they return to their disputes. Accordingly, jurists’s advised that sects’ kings should be taken out.

Once again another epochof Al Moravides’ holly war occurred in Andalusia where many battles took place such as Aqlish, Qantada, and Surqastah where Muslims won many of these battles.

Fifth Chapter: Falling out of Al Moravides State:

Andalusia experienced many events which events were religious, economical and political. Thereafter appeared the State of Al Mowahidin which crushed Al Moravides State.

Based on what above mentioned we concluded to the following restates:

Al Moravides State wiped out the sects' Kings and lengthening the age of Islamic Andalusia, and unifying the same under Sunna doctrine, wipping out the Christians and rising Jihad flag.

فهـرس الموضـوعات

المقدمة:

قامت دولة المرابطين في البلاد المغربية على أسس إسلامية والحكم بما أنزل الله. و كان أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين أبرز أمراء هذه الدولة، عاصمتها أغمات التي تقع على بعد خمس وثلاثين كيلومتراً جنوب شرقي مدينة مراكش . وقد اختط يوسف مدينة مراكش سنة (452هـ ـ 1063م)، متخذاً إياها عاصمة للدولة.

رأينا أوضاع الأندلس وما صارت إليه خلال حكم الطوائف من تفكك وإلحاح أسبانيا النصرانية في إنهاكها واستنزاف قواها حتى سقطت طليطلة في محرم سنة (478هـ ـ 1085م) واتجهت الأنظار صوب عدوة المغرب مستنجدة بإخوانهم المرابطين، ولبى أميرهم النداء فعبر الجيش المرابطي إلى الأندلس مجاهداً في سبيل الله، وكانت معركة الزلاقة في رجب سنة (479هـ ـ 1086م).

كان الشرق الإسلامي في ظروف سياسية حرجة وصعبة وقاسية حيث أمر الخلافة في بغداد مهتز، وكان وضع المسلمين في غاية الخطورة، أرادت حكمة الله وقدرته أن تخرج دولة المرابطين السنية لتكون سداً منيعاً ضد أطماع النصارى في الأندلس، ولتحمي الشمال الأفريقي من غاراتهم وأطماعهم.

لقد كرم الله تعالى المرابطين وجنودهم بالدفاع والذود عن الإسلام والمسلمين وأعراضهم وعقيدتهم التي لا تقدر بثمن.

إن الجهاد من أعظم الدروس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد).

ساءت أحوال الطوائف مرة أخرى وعادوا إلى خلافاتهم. وترددت الكتب والفتاوى إلى أمير المسلمين بإنجاد الأندلس لنجدة من ملـــوك الطوائف هذه المرة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1- ما الدوافع التي أذكت روح الحماس في صدور المرابطين ؟.

2- ما الأسباب التي أدت إلى ترجيح كفة القوى الإفرنجية في البحر الأبيض وبـــلاد الأندلس؟.

3- ما الدوافع التي اضطرت المرابطين إلى المشاركة في حركة الجهاد .

أهميــة البحث:

تتضح لنا أهمية موضوع دولة المرابطين ودورها الجهــادي فـــي الأنـــدلس، واختياري له لإبراز هذه الواجهة المشرقة من تاريخ دولة المرابطين، التـــي قامـــت بفضل اهتمامها بالجهاد الإسلامي في المغرب والأندلس، ولكي يتعرف أبنـــاء الأمـــة الإسلامية اليوم على منابع القوة الحقيقية التي تكفل لهـــم اســـترداد كامـــل عظمـــتهم ورسالتهم الدينية والسياسية في خدمة الإنسانية.

وتتمثل تلك الأهمية في الآتي:

(1) أن الإسلام رسالة عظيمة أثرت على كل البقاع في الأرض، ونجد أن الأحداث التي دارت في المغرب الإسلامي من ثورات دينية كان لها أثراً بالغاً في حياة المجتمع المغربي.

(2) الدول الإسلامية التي تعاقبت على المغرب العربي بداية بدولـــة الأدارســـة حتـــى عهـــد الموحدين لها دور كبير في نشر الإسلام بطابعه الديني والسياسي والفكري.

(3) حركة المرابطين السنية لعبت دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي في الأندلس والشـــمال الأفريقي.

(4) خاضت الدولة المرابطية أعظم الحروب ضد النصارى أعظمها معركة الزلاقة وقد تركت الدولة المرابطية إرثاً تاريخياً عظيما في بلاد الأندلس.

(5) كان في زمن المرابطين علماء وفقهاء لا زال أثرهم في الأمة سارياً إلى يومنا هذا.

(6) حفظت دولة المرابطين الأندلس من السقوط بعد أن أوشكت على الضياع فأعادتهــا إلــى الإسلام قروناً عديدة.

أسباب اختيار البحث:

يرجع اختيار موضوع البحث إلى عدة أسباب أهمها:

أولاً : أن مصادر التاريخ الإسلامي العامة، ومصادر تاريخ المغرب بصفة خاصة لم تقدم لنا إلا إشارات بسيطة وموجزة عن دولة المرابطين ودورها الجهادي في الأندلس.

ثانياً : كما أن المراجع العربية والمعربة لم تعط لموضوع الدور الجهادي الذي قامت بــه دولة المرابطين في الأندلس ما تستحقه من البحث، هذا بالإضافة إلى أن الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ المرابطين عالجت بصفة موجزة المرابطين ودفاعــاتهم عــن مســلمي الأندلس.

ثالثاً : ندرة الدراسات التي تناولت دور المرابطين الجهادي في الأندلس، ولقد تعــاظم دور دولة المرابطين في الأندلس وأصبحت بحكم موقعها القريب من أفريقيا وعلاقاتها بها كأنها جزء من أفريقيا. وكان استقلالها في المذهب المالكي قد أخذ يباعد بينها وبين الشرق.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

أولاً : التعريف بزعماء المرابطين أمثال عبد الله بن ياسين، ويحي بن إبراهيم وأبي بكر بن عمر، ويوسف بن تاشفين، وأبي عمران الفاسي.

ثانياً : تسهيل مبدأ الاتعاظ بمعرفة أحوال الدول، وعوامل بنائها وأسباب سقوطها والنظــر في سنن الله في الآفاق.

ثالثاً : وتهدف هذه الدراسة لمعرفة الدور الجهادي للمرابطين في الأندلس.

رابعاً : معرفة أسباب انهيار الدولة المرابطية والخلاف المذهبي بين الموحدين والمرابطين وتكفير الموحدين للمرابطين.

خامساً : إظهار معان فقه التمكين، من خلال المنظور التاريخي لدولـــة المـــرابطين، فيوضح مراحل التمكين التي مرت بها الحركة المرابطية.

سادساً : الاهتمام بمعرفة عقيدة أصل السنة والجماعة، وتربية أبناء الأمة عليها وكيف كان اهتمام المرابطين بهذه العقيدة التي استمدوها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

سابعاً : إثراء المكتبة الإسلامية التاريخية بالأبحاث المنبثقة عــن عقيــدة صـــحيحة وتصور سليم بعيدة عن سموم المستشرقين، وأفكار العلمانيين الـــذين يســـعون لقلـــب الحقائق التاريخية من أجل خدمة أهدافهم.

فروض البحث:

(1) الخلافات والتنافس السياسي وعدم الحفاظ على تثبيت الدولة الأندلسية أثر كثيراً على المغرب الإسلامي.
(2) أن النصارى لا يفترسون المسلمين إلا إذا تشتتوا واستعانة البعض بهم على البعض وعدم مناصرة المسلمين لبعضهم.
(3) الاختلاف الفكري بين الدولتين المرابطية والموحدية أثر كثيراً على ضياع الأندلس.
(4) اتساع الدولة وامتداد رقعتها وميل الحكام لمصالحهم وتركهم الجهـــاد أدى لســـقوط الدولة.
(5) التعصب الفكري الذي أصاب فقهاء المرابطين وحجرهم على أفكار الناس أدى إلى ضعف الدولة.
(6) الاضطرابات التي عمت أنحاء الأندلس عجلت بسقوط الدولة وعبـــور الموحـــدين إليها.

منهج البحث :

يتبع البحث المنهج التاريخي الوصفي .

حدود البحث:

الحد المكاني : الأندلس

الحد الزماني : 479 ــ 541هــ / 1086م ــ 1147م.

يعتبر الحد الزمني 479هــ أول عبور ليوسف بن ناشفين للجزيرة الخضراء.

الحد الزمني 541هــ مقتل أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين آخر أمــراء المــرابطين. وسقوط دولة المرابطين وظهور دولة الموحدين.

الحد الموضوعي: جهاد المرابطين في الأندلس.

هيكل البحث :

تمّ تقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول ويشتمل كل فصل على ثلاثــة مباحــث وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع والملاحق :

الفصل الأول : بناء دولة المرابطين: المبحث الأول: جغرافية بــلاد المغــرب و المبحث الثاني: مرجلة التكوين والتمكين للدولة، أما المبحث الثالث: عبد الله بــن ياســين، مولده، ونشأته ودعوته.

الفصل الثاني : دول الطوائف ودورها في إضعاف المسلمــين في الأندلس وبه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: أسباب ضعف المسلمين في الأندلس، المبحث الثاني: الصراع بين طليطلة وقرطبة، المبحث الثالث : المعتمد بن عباد وأطماع الفونسو التوسعية.

أما الفصل الثالث : المرابطون ودفاعاتهم عن مسلمي الأندلس. وبه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الجواز الأول ليوسف بن تاشفين للأندلس. المبحث الثاني: موقعــة الزلاقـــة، المبحث الثالث : الأندلس بعد الزلاقة

الفصل الرابع : ضم الأندلس بالقوة والقضاء على حكم الطوائف: وبه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: جواز الأمير يوسف الثالث، المبحث الثاني: موقعة اقليش سرقسطة ، المبحث الثالث : موقعة وطلبيرة ، وموقعة قُتندة ، موقعة افراغة

الفصل الخامس : سقوط دولة المرابطين: وبه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الأسباب الدينية والاجتماعية ، المبحث الثاني: الأسباب الاقتصادية، المبحث الثالث : الأسباب السياسية

الخاتمة : وتشمل : النتائج ، التوصيات، المصادر والمراجع، الملاحق.

الدراسات السابقة:

(1) دراسة: عائشة محمد الأمين.

بعنوان : الموحدون وجهادهم في الأندلس ــ رسالة لنيل درجة الماجستير .

تناولت الدراسة المجتمع المغربي بكل قبائله وقيام ونشأة الدولة الموحدية وطبيعة الجهاد في الأندلس ضد النصارى وأسباب انهيار الدولة الموحدية. 2015م، جامعة النيلين ــ كلية الآداب.

تناول البحث جهاد الموحدين في الأندلس وقيام الدولة الموحدية على أنقاض الدولة المرابطية. ولم يتناول جهاد المرابطين في الأندلس.

(2) دراسة : الشيخ الأمين محمد عوض الله :

بعنوان: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين ــ مالي وسنغي ــ رسالة ماجستير في الآداب، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، 1976م.

تناول البحث العلاقات بين المغرب الأقصى في زمن المرابطين والسودان الغربي في عهد سلطنتي مالي وسنغي.

(ولم يتناول الجانب الجهادي للمرابطين في الأندلس).

(3) دراسة : صلاح آدم عيسى محمد:

بعنوان : قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، 2017م، جامعة النيلين.

تناول البحث دور المرابطين في إسقاط مملكة غانا وقيام الممالك الإسلامية في السودان الغربي مالي وسنغي وانطلاقة المرابطين إلى المغرب الأقصى ولم يتناول جهادهم في الأندلس.

تمهيد:

مصطلح الأندلس ومدلوله:

أصل مصطلح الأندلس مأخوذ من قبائل الوندال (Vandals) التي تعود إلى أصل جرماني. احتلت شبه الجزيرة الإيبيرية حوالي القرن الثالث والرابع وحتى الخامس الميلادي، وسميت باسمها : فاندلسيا (Vandalusia)، أي : بلاد الوندال. ثم نُطقت بالعربية : الأندلس. أما مدلول هذا المصطلح فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون أحياناً على كل شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال اليوم)، والتي يسمونها أيضاً الجزيرة الأندلسية. ثم استعمل للدلالة على كل المناطق التي سكنها المسلمون وحكموها من شبه الجزيرة الإيبيرية[1].

حدود الأندلس أيام الخلافة الأندلسية ــ مثلاً ــ تشمل كل البرتغال تقريباً وأكثر أسبانيا الحالية. كانت الأندلس تمتد جنوب الخط الافتراضي الذي يصل بين نهر دُوَيْرةْ (Duero) في الغرب حتى بَرشَلُونَة (Barcelona) في الشرق، مع ارتفاع إلى الأعلى في الوسط. يفصل هذا الخطب بين إسبانيا النصرانية في الشمال وبين الأندلس (إسبانيا الإسلامية) في جنوبه.

حين يُذكر هنا اصطلاح الأندلس يُقصد به أيضاً ــ زيادة على ما سبق ــ المنطقة الإسلامية التي شملها الإسلام، سلطاناً وسكاناً، من شبه الجزيرة الايبيرية، وعلى الأغلب في شمولها أيام الخلافة الأندلسية. أو شاملة لكل شبه الجزيرة، كما تبين آنفاً.

تطلق اليوم كلمة أنْدلثيا (Andalucia) بالإسبانية على المنطقة الجنوبية من إسبانيا. وهو اصطلاح إداري لا يمثل المعنى التاريخي المبين لمصطلح الأندلس.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (سنة 710هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م، ص 4-6-19.

بعض أسماء الأمكنة والمدن في شبه الجزيرة الايبيرية ذات أصل أندلسي، منقول إلى الأسبانية، أو أنه إسباني نقل إلى العربية. فعدد من الأسماء يتسم بطابعه الأندلسي. وكل اسم في الإسبانية ــ حالياً ــ مسبوق بــ الــ ــالتعريف دليل على أندلسيته أو تأثيره. كانت ــ ولا زالت ــ تقوم في إسبانيا مدن وقواعد أندلسية، بعضها كبرى، تحفظ بآثار العمران الأندلسية، مثل: قُرطبة وإشبيلية وغرناطة وطليطلة ومالقة وغيرها[2].

الفصل الأول

بناء دولـــة المرابطــــين

المبحث الأول: جغرافية بلاد المغرب

المبحث الثاني: مرحلـة التكويـن والتمكين للدولـة

المبحث الثالث: عبد الله بن ياسين مولده ونشأته ودعوته

(2) عبد الرحمن حجي. تاريخ الأندلس، ص 37.

المب

جغرافي ... رب

تأثرت بلاد المغرب إلى حد كبير بموقعها الجغرافي وبتضاريسها الطبيعية التي ساعدت على عزلتها حضارياً، ومحافظتها على أصولها. والملحوظ أن هذه العزلة الحضارية التي فرضتها طبيعة البلاد، أثرت تأثيراً واضحاً في اللغة والدين. فللمغرب لغته الخاصة، بجانب اللغة العربية ومذهبه الديني، وهو المذهب المالكي الذي حافظ عليه على مرّ السنين.

تمتد سلاسل جبال أطلس من أقصى البلاد في الغرب إلى أقصاها في الشرق في سلسلتين:

إحداهما شمالية، وهي جبال الريف الممتدة بحذاء ساحل العدوة. من طنجة إلى مليلة ثم جبال أطلس التل؛ والثانية جنوبية تمتد في الصحراء الداخلية في جنوب وادي سوس عبر الصحراء إلى جبال أوراس وجبال زغوان جنوب تونس[1].

فالسلسلة الأولى وهي جبال أطلس الشمالية تنقسم إلى مجموعتين:

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 13- 16.

أ. جبال الريف أو جبال أطلس الشمالية الغربية، وهي جبال متوسطة الارتفاع. وتتخذ هذه الجبال شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي من سبته إلى مليلة تاركاً سهلاً ساحلياً ضيقاً في هذه المنطقة.

ب.جبال أطلس التل: وهي سلسلة جبلية تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمالي الشرقي امتداداً لجبال الريف الساحلية، وتمتاز هذه السلسلة بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية.

وتستمر جبال أطلس التلية في الامتداد شرقاً حتى تنتهي بجبال خمير في المغرب الأدنى (تونس) [1].

والسلسلة الثانية هي جبال أطلس الجنوبية أو أطلس الصحراوية وتبدأ من المغرب الأقصى حيث تحمل اسم جبال أطلس الكبرى، وهي أكثر جبال أطلس ارتفاعاً، ولا توجد بها ممرات يسهل المرور منها، ولذلك كان لهذه الجبال أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب، وتستمر جبال أطلس الكبرى ممتدة في المغرب الأوسط، وتشمل عدة جبال وتنتهي بجبال زغوان في المغرب الأدنى، وإلى شمال سلسلة جبال أطلس الكبرى تقع سلسلة جبال أطلس الوسطى، ويسمونها أحياناً أطلس الصغرى، ويغلب عليها طابع الهضاب، خاصة في الجنوب الغربي منها، وتبدو حدودها الجنوبية الغربية واضحة المعالم، حيث تشرف على سهل (تادلا) وكذلك حدودها الشرقية، حيث يجري وادي ملوية. وفي الشمال حيث يقع ممر تازة، المدخل الوحيد إلى المغرب الأقصى، وتمتد الهضاب المغربية بين جبال أطلس الكبرى والوسطى حتى المحيط الأطلسي.

أما السهول فتقع غالباً على ساحل المحيط الأطلسي وساحل العدوة والبحر الأبيض المتوسط.

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق نفسه. نفس الصفحه.

وقد أثرت طبيعة المغرب الجغرافية على تاريخ شعوبه، فقد كانت الإغارات التي تعرض لها تكلف أصحابها جهداً كبيراً، وتواجههم صعوبات في حربه، على حين ساعدت الطبيعة أهل المغرب على الدفاع عن بلادهم فاحتفظ المغرب بإستقلاله ونشأت فيه دول وازدهرت به حضارات أدت دوراً واضحاً في تاريخ الإقليم كله.

سكان المغرب:

تمتد بلاد المغرب من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً وإن ما يلي طرابلس إلى الشرق لا يدخل في المغرب. وعلى هذا النحو ينقسم المغرب إلى ثلاثة أقسام:

1- إفريقية : وسماها العرب المغرب الأدنى لأنها أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز والشام، وتمتد من طرابلس شرقاً حتى بجاية أو تاهرت غرباً.

2- المغرب الأوسط: ويمتد من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غرباً.

3- المغرب الأقصى: ويمتد من وادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً.

عرفت القبائل التي سكنت المغرب باسم البربر، واختلف النسابون العرب في أصل البربر، وقد ناقش ابن خلدون آراءهم وخلص منها بقوله :(الحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح) [1].

وينقسم البربر عامة إلى طائفتين:

أ. البربر الحضر، الذين يسكنون المناطق الخصبة، ويشتغلون بالزراعة والصناعة.

ب. البربر الرحل، الذين يسكنون الصحارى، ويعيشون على الرعي، وعلى ما يسلبونه من غاراتهم على ما يجاورهم من عمران.

كما قسم العرب البربر إلى قسمين:

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، توفى (808هـ) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. دار الكتاب لبنان، 1959م، ج6، ص 191.

1- البتر، وهم ينتسبون إلى باديس بن بر الملقب بالأبتر.

2- البرانس، وهم ينتسبون إلى برنس بن بر.

وينقسم بربر البتر إلى أربع قبائل هي: ضريسة، ونفوسة، وأدراسة، وبنو لواي، أو لواته، وتنقسم ضريسة إلى مكناسة وزناتة، ويعتبر ابن خلدون قبيلة زناتة فرعاً من البربر قائماً بذاته، ومن زناتة جراوة ومغراوة، وبنويفرن وبنو زيات، وبنو مرين [2].

أما بربر البرانس فينقسمون إلى سبع قبائل هي أوربة، وصنهاجة، وكتامة، ومصمودة، وعجيسة، وأوزيغة، وازداجة، وقيل عشر بإضافة: لمطة، وهسكورة وجزولة، وتعتبر صنهاجة أكبر قبائل البربر، حتى لقد زعموا أنها مقدار الثلث منهم، وقد غلب على صنهاجة طابع البداوة فتفرقت في كثير من أنحاء المغـــرب[1].

وتنتشر صنهاجة في المغرب الأوسط والأقصى، وتقيم كتامة في بلاد القبائل الصغرى وزاواوة في بلاد القبائل الكبرى وزناتة على شاطئ الجزائر بين بلاد القبائل وشلف، وبنويفرن من شلف إلى ملوية، وبرغواطة ومصمودة على الشاطئ الأطلسي لمراكش.. ولمطة في جنوبي مراكش [2].

وتعيش لواته في الشرق، بينما تعيش زناتة في بقاع متوازنة على حدود الهضبة من طرابلس إلى جبل عمود ثم ينتشرون تدريجياً ناحية المغرب الأوسط والأقصى.

الفتح العربي وأثـــره:

---

(2) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق. 16/13.

(1) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق نفسه.

(2) دراسة : الشيخ الأمين محمد عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتن مالي وسنغي، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، 1976م، ماجستير، دراسة سابقة، ص 25.

بدأ فتح العرب الحقيقي للمغرب في سنة 50هـــ (670م) في عهد معاوية ابن أبي سفيان [3]. المعروف أن معاوية عقد ولاية أفريقية لعقبة بن نافع الفهري سنة 50هـــ.

كان عقبة رجلاً قوي الشكيمة شديد الحماسة الدينية، ورأى عقبة ضرورة إنشاء قاعدة للعمليات الحربية لضمان نجاح الفتح فأنشأ مدينة القيروان.

وعن تأسيس مدينة القيروان يقول ابن عذارى المراكشي :(وفي سنة 51هـــ شرع عقبة في ابتداء بناء مدينة القيروان وأجابه العرب إلى ذلك.. فركب في وجوه العسكر ومن معه من الصحابة والتابعين فدار بهم حول مدينة القيروان، وهو يدعو لها، ويقول :(يا رب أجعلها عزاً لدينك وذلاً على من كفر بك). [4].

وغدت مدينة القيروان بحق كعبة للعلم وقامت بدور بارز في نشر الثقافة الإسلامية في المغرب، ويعتبر إنشاؤها بداية تاريخ الحضارة المغربية. فإلى جانب الجيوش والبعوث التي تخرج منها للغزو والفتح، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا في البلاد يعلمون أهلها اللغة العربية وينشرون بينهم الإسلام.

وبعد عقبة بن نافع تولى قيادة الجيوش الإسلامية في المغرب أبو المهاجر دينار، وفي سنة 55هـــ، ويتميز أبو المهاجر هو واضع الأساس لما نسميه بتعبيرنا الحديث (التعاون مع الشعوب صاحبة البلاد) وقد اتبع أبو المهاجر طريقة مهادنة البربر واستمالهم ليضرب بهم العدو الأول، وهو الروم. وقد نجح في سياسته إلى حد بعيد.

---

(3) عبد الحميد العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، مكتبة النهضة المصرية، 1958م، ص 33.

(4) ابن عذارى المراكشي، (ابو عبد الله محمد)، (توفى 665هـ) والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر وتحقيق ج.ش، كولان وليفي بروفنسال، ليدن 1948م. ، ص 20.

وقد واجه العرب مقاومة شديدة من جانب البربر وكان كسيلة بن (أغز) الأوروبي ثم البرانس من أهل المغرب الأقصى من عظماء البربر. وكان نصرانياً قد جمع الجموع من البربر والفرنج وزحف نحو المسلمين فهزمه أبو المهاجر وأسره [1].

ويعود عقبة بن نافع مرة ثانية لولاية إفريقية ويواصل فتح المغرب فيفتح المغرب الأقصى ويصل في فتوحاته حتى ساحل المحيط الأطلسي، وعند عودته للقيروان يلتقي عقبة بن نافع بكسيلة زعيم البربر فيقاتلهم قتالاً عنيفاً، وكان عقبة في خمسة آلاف فقط من جنوده، ودارت الموقعة الأخيرة على مقربة من تهودة، وأدرك عقبة وأصحابه أنهم هالكون لا محالة فكسروا أجفان سيوفهم، وتقدموا إلى البربر وقاتلوهم، فقتل المسلمون جميعاً ولم يفلت منهم أحد، وهكذا كانت خاتمة عقبة وأصحابه استشهاداً جليلاً خلد ذكراهم في هذه البلاد.

انتهج العرب في حكم البربر أول الأمر سياسة تنطوي على بعد النظر والدراية بأحوال الشعوب المفتوحة، فقد كانوا يستميلون البربر إلى الدين الإسلامي ويبثون الفقهاء بينهم ليلقنوهم تعاليم الإسلام في أبسط صوره مثلما فعل حسان بن النعمان الذي اقتدى به موسى بن نصير، كما فعل عمر بن عبد العزيز حين بعث عشرة من كبار التابعين إلى البربر ليفقهوهم في الدين، ولم يلبث البربر الذين قاوموا العرب من قبل أن استجابوا للدين الجديد وتحمسوا لنصرته.

وقد سايرت اللغة العربية الإسلام أينما حلّ، فلا بد للمسلم أن يقرأ القرآن باللغة العربية ويؤدي صلاته بها، وقد دفع ذلك إلى تعلمها كما ساعد تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان (86/65هـ) إلى سرعة تعلم اللغة العربية بين شعوب البلاد المفتوحة.

وعلى كل حال، فإنه لم يكد ينقضي القرن الأول الهجري حتى كان الشعب البربري قد صار عربياً لغة وديناً وعادات[1]، والدليل على استجابة البرير للإسلام

(1) أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، نشر دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1955م. ص 163- 164.

(1) عبد الحميد العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1958م، ص 41.

وتحمسهم له، اشتراكهم في الجهاد، فقاموا بقيادة طارق بن زياد بفتح الأندلس ونشر الإسلام فيها.

وقد أصبح المغرب قطراً إسلامياً ينفعل مع التفكير الإسلامي الذي شاع في العصر الأموي، فإذا بالفرق الدينية التي ظهرت في ذلك العصر مثل الشيعة والخوارج تنتقل إلى بلاد المغرب، وأسس هؤلاء بعض الدول فيها، وكان لهم دور واضح في نشر الإسلام بين أهلها كذلك.

وعرف المغرب في التاريخ الإسلامي بكثرة القلاقل، فالحياة القبلية لا تعرف الاستقرار السياسي والتبعية الشاملة لوال أو أمير، ولذلك استنفدت من جهد الفاتحين نصيباً كبيراً، وظلت بعد الفتح تستجيب لعوامل الإثارة والسخط. ومما ساعدها على ذلك ــ وخاصة في عهد الخلافة العباسية ــ بعُدها عن بغداد مقر الخلافة، ولما فقدت الخلافة بلاد الأندلس لم تهتم كثيراً بالحفاظ على المغرب لتكاليف الاحتفاظ به مما ساعد على كثرة قيام الدول وسقوطها في شمال أفريقية بسبب الحركات الداخلية، وضعف الحكومة المركزي.

غارات بني هــلال:

لما نجح الفاطميون في هزيمة القرامطة على عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله (365 ــ 386هــ) نقل العزيز من كان بينهم من بني هلال وبني سليم إلى مصر وأنزلهم بالجانب الشرقي من الصعيد، وظلوا يقيمون بصعيد مصر في العصر الفاطمي[1].

وعندما ساءت العلاقات بين الفاطميين في مصر وبين الأمارات التابعة لهم في تونس، رأوا أن يدفعوا عرب بني هلال لغزو هذه البلاد فيتخلصوا من عبثهم وافسادهم في مصر، وقد يتخلصون أيضاً من أمراء افريقية الخارجين عن طاعتهم،

(1) محمود عبد العزيز سالم، المغرب الإسلامي، مطابع الشعب ، الإسكندرية، ج2، ص 123.

وفي سنة 443هـ ظهرت طلائع قبائل البدو في افريقية بعد أن مرت ببرقة وطرابلس[2].

وأقام بنو سليم ببرقة وسارت قبائل دياب وعون وزغب وجميع بطون هلال إلى افريقية ودمّرت في طريقها كل شيء.. ودخل العرب القيروان واستباحوا المدينة وخربوا أبنيتها وقضوا على حضارتها وعاثوا في البلاد ينهبون ويأسرون ويقتلون[3].

وقد ظهروا بافريقية في وقت كانت الأحوال السياسية تمهد لنجاحهم وتوفيقهم، ذلك أن القبائل الإفريقية كانت قد أغدقت في الترف، واستمرأت الحضارة، وفقدت روحها العسكرية فلم تصمد لغارات بني هلال، لذلك انتصر العرب الهلاليون، وهزمت الدولة الزيرية هزيمة ماحقة[4].

وعلى الرغم مما ارتكبه العرب الهلاليون من مساوئ فقد كان لهم دور كبير في نشر اللغة العربية في المغرب، فقد أشاعوا لغة الضاد في كثير من الأقاليم البربرية وأصبح العامل اللغوي يعزز إلى جانب العامل الجنسي وحدة هذا الجزء من أفريقيا[5].

وأول الدول التي ظهرت بالشمال الأفريقي : الدولة الرستمية بالجزائر سنة 169هـ، واستمرت حتى سنة 305هـ، وعقب ظهورها قامت دولة الأدارسة (172 ــ 375هـ)، ثم دولة الأغالبة في تونس (184 ــ 296هـ) [1].

وقبل نهاية القرن الثالث الهجري ظهرت الدعوة الإسماعيلية بالشمال الأفريقي، وسرعان ما انبثقت عنها الأسرة الفاطمية التي استولت على تونس وأنهت سلطان الأغالبة، ثم امتد سلطانها حتى شمل الشمال الأفريقي كله.

وسرعان ما تمت حركة انشقاق واستقلال تام قام بها الأمراء المحليون ونشأت عن ذلك دولة آل زيري (362 ــ 543هـ) في صنهاجة بتونس الحالية، مع شريط

---

(2) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقية، القاهرة ، دار النهضة، 1963م، ج1، ص 161.

(3) محمود عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 153.

(4) حسن أحمد محمود، مرجع سابق، ص 161.

(5) عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ الحضارة المغربية، الرباط، 1962م، ص 26.

(1) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمية في التاريخ الإسلامي، إخراج زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود ، مطبعة فؤاد الأول، 1951م، ج1، ص : 103 - 106.

من شرق بجاية بباقي الجزائر، وظهرت دولة بني حفص بتونس (625 ــ 941هــ) ودولة بني زيان بتلمسان غرب الجزائر سنة (633 ــ 796هــ) [2].

المغرب الأقصــــى:

تعاقبت على المغرب الأقصى عدة دول كان لها دور بارز في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس والسودان الغربي، ومن هذه الدول:

أ/ الأدارســـة (172 ــ 375هــ):

قامت دولة الأدارسة على أكتاف بربر المغرب الأقصى الذين بايعوا ادريس بن عبد الله وآووه ونصروه، وقد وحدّ الأدارسة البلاد وأقاموا بها حكومة مستقرة وأسسوا مدينة فاس، كما قضوا على فتنة الخوارج ونشروا الإسلام وهيأوا للبلاد حياة هادئة، وغدت مدينة فاس مركزاً هاماً لنشر الثقافة الإسلامية بين البربر وطبعوا البلاد بطابع حضاري إسلامي مغربي.

امتد حكم الأدارسة من السوس الأقصى إلى مدينة وهران، وحكموا قرنين وثلاث سنين (172 ــ 375هــ) وبذلوا جهوداً واضحة في نشر الإسلام في وسط البربر. وقد أسلم البربر الذين يعيشون جنوباً حتى مشارف السنغال، وتأكد إسلام هذه القبائل على وجه الخصوص منذ القرن الخامس الهجري فصاعداً[1].

اتخذ الأدارسة عدة خطوات لتهيئة التربة الصالحة للعقيدة الإسلامية وتثبيتها في نفوس الأهالي ونشرها، فقاموا بحركة جهاد مقدس من أجل القضاء على الوثنية وعلى المذاهب الخارجية التي استشرى خطرها في البلاد، وقاموا بتثبيت أركان الإسلام وإرساء قواعده في البلاد بعد أن تعرّض لكثير من الهزات والارتداد من جانب البربر. وفي بعض التواريخ نجد أن أهل المغرب ارتدوا اثنتي عشرة مرة إلى

---

(2) أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1963م، ص 109.

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 212.

أن فتح الله عليهم بقدوم إدريس، رضي الله عنه، فمن بركته تقرر إسلامهم منهم وزاد خيرهم [2].

وتبدو أهمية الجهود التي قام بها الأدارسة في هذه المرحلة من مراحل تاريخهم أن اعتناق أهل اللثام الإسلام، ساعد على قيام حلف قوي يجمع الملثمين جميعهم بعامة لمتونة، وكان هذا التوحيد في ظل الإسلام نذير موجة من التوسع صوب الجنوب لنشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربي.

هكذا برز دور الأدارسة وتأثيرهم في إسلام المنطقة وانتقاله إلى مناطق خارج حدود إقليمهم، إذ نجح الأدارسة في دفع الإسلام إلى مساحات واسعة من شمال المغرب وجنوبه، وبذلك كانت جهودهم في هداية المغرب الأقصى إلى الإسلام أعظم من أعمال العرب الفاتحين.

وعندما انحل سلطان الأدارسة انتقل السلطان إلى أيدي القبائل وأحياناً إلى أيدي أفراد من أسرة الأدارسة تزعموا الحركات الانفصالية وظلت الأحوال كذلك حتى جاء المرابطون فكتبوا نهاية الحكم القبلي.

ب/ المرابطــون (448 ـ 540هــ):

كانت أوضاع المغرب الأقصى تهيؤه في هذا الوقت بالذات للزعامة السياسية والثقافية، ففي هذه البقعة من أفريقيا تلتقي مؤثرات البحر الأبيض المتوسط القادمة من تونس والجزائر والأندلس، بالمؤثرات الإفريقية، وفي الوقت الذي استنزفت فيه الأحداث موارد أفريقيا وطاقاتها البشرية والحضارية ادخرت ثروات المغرب الأقصى وشعوبه وطاقاته ليغلب على الأحداث موارد أفريقيا وطاقاتها البشرية والحضارية ادخرت ثروات المغرب الأقصى وشعوبه وطاقاته ليغلب على الأحداث منذ القرن

(2) حسن علي حسن، دولة الأدارسة، رسالة ماجستير بدار العلوم بالقاهرة،، 1967م، ص 277.

الخامس الهجري فصاعداً، وقد اجتمعت في بلاد المغرب الأقصى مؤثرات أفريقية فارة من غارات بني هلال، ومؤثرات الأندلس التي وفدت في ظل المرابطين[1].

كانت مملكة غانة تهدد تجارة السودان الغربي تهديداً خطيراً، هذه التجارة التي كانت مصدر يُسر وغنى للقبائل الصنهاجية الضاربة في الصحراء، أو على ساحل المحيط، لذلك تمّ نوع من التحالف بين قبائل لمتونة، وجدالة، ومسوفة، بفضل الجهود التي بذلتها قبيلة لمتونة القوية التي كانت تحتكر زعامة صنهاجة الجنوب منذ وقت بعيد، ويبدو مما ذكره المؤرخون أن أهداف هذا الحل كانت مدافعة ملك غانة في الجنوب والسيطرة على تجارة السودان إلى المغرب، واسترداد ما فقد الحلف من تجارة ونفوذ.

انتقلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة، وقد قدر لجدالة ــ هذه القبيلة القوية الفتية ــ أن تبني الحركة الدينية التي انتهت بقيام دولة المرابطين.

ويبدو أن يحي بن إبراهيم، زعيم جدالة، قد ارتاد أسواق المغرب الأقصى متاجراً أو زائراً، فأحس بالبون الشاسع بين البيئتين: بيئة المغرب الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة، وبيئة الصحراء التي يظلها الجهل، فآثر أن يأخذ عالماً يعلم أفراد قبيلته، فقصد القيروان وانتدب له أبو عمران الفاسي : الشيخ عبد الله بن ياسين[2].

قام عبد الله بن ياسين بنشر الإسلام في صفوف البربر، ومع مرور الزمن تكونت حول الشيخ عبد الله بن ياسين جماعة من أتباعه، وأخذت هذه الجماعة في الزيادة، وأخيراً قاد أتباعه في سنة 1042م ــ 434هــ، الذين سماهم بالمرابطين، وهاجم القبائل المجاورة وأرغمهم على قبول الإسلام[1].

---

(1) حسن علي حسن، المرجع السابق، 278.

(2) حسن أحمد محمود، مرجع سابق، ص 105.

[1] توماس أرنولد. الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1957م، ص 344 - 353.

وتمخض عن إسلام قبائل لمتونة وقبولهم لدعوة عبد الله بن ياسين، قيام تحالف قوى ضم جميع قبائل الملثمين، وانتشرت حركة المرابطين وتوسعت فشملت كل المغرب الأقصى، وبدأت تجاهد لنشر الإسلام في السودان والأندلس.

وقد اعتنق زعماء لمتونة وجدالة الإسلام على مذهب الإمام مالك، وكان للجهاد في زعم عبد الله بن ياسين هدفان: أولهما، فتح بلاد السودان وتحويل أهلها إلى الإسلام، وثانيهما، فرض مذهب الإمـــام مالك على شعوب أفريقيا الشـــمالية[2].

استطاع المرابطون بقيادة عبد الله بن ياسين ويحي بن عمر دخول سجلماسة عام 445هـــ، إلاّ أن يحي بن عمر قتل في أثناء قتال زناتة، فخلفه أخوه أبو بكر.

تدعمت جيوش المرابطين بانضمام جزولة ولمطة وقاد يوسف بن تاشفين ابن عم أبي بكر بن عمر الجيوش المرابطية واستطاع استرجاع الواحات المغربية، ثم اصطدم المرابطون منذ عام 450هـــ ببرغواطة، وقتل عبد الله بن ياسين في إحدى المعارك[3].

المبحث الثاني

مرحلـــة التكويـــن والتمكين للدولـــة

تسميـــة الملثمـــين وموطنهـــم:

---

(2) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة، القاهرة ، 1957م. ص 57.

(3) محمود عبد العزيز سالم، المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص 234.

قام المرابطون في المغرب الأقصى يدعون إلى تأكيد التمسك بالإسلام، وتجديد جريان الحياة في تياره وإشباعها بروحه واتخاذه دستوراً شاملاً يحكم حياة الإنسان في كل أحوالها. وامتدت حركتهم حتى أقامت دولة شملت مناطق كثيرة في المغرب الكبير، وانضوت الأندلس تحت جناحها، وعمرت دولتهم نحو مائة عـــام[1].

تعد صنهاجه أهم عناصر سكان المغرب الأقصى في العصر المرابطي وأكثرها عدداً وعلى أكتافها قامت دولة المرابطين، وهذا ما يؤكده ابن خلدون في قوله :(هذا القبيل من أوفر قبائل البربر وهي أكثر أهل الغرب بهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر)[2].

وقد تضاربت الروايات حول أصل صنهاجة وكيفية استقرارها في المغرب وإن كانت أغلب الروايات تنسبها إلى قبيلة حمير وتأتي في مقدمة هذه الروايات ما نقله ابن عذارى :(أن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير)[3]. وعلى عكس هذا الاتجاه يذكر ابن حزم انتسابهم إلى حمير، واقتفى أثره ابن خلدون الذي تناقض في هذا المجال وخالف الأول.

ولعلّ ما يؤكد أن المرابطين يفخرون بنسبهم الحميري حيث كانوا يمدحون به على سبيل المثال قول : أبي محمد بن حامد الكاتب :

قوم لهم شرف العلا من حمير * وإذا انتمـــــوا صنهـــاجة فهم هم

لما حـــوا أحـــرار كــــــــــــــــــــــــــــــل فضـــــــــــــــيلـــة * غلب الحيـــاء عليهم فتلثمـــــوا[4]

---

(1) عبد الرحمن علي حجي : التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، 92- 897هـ (711 - 1492م). الطبعة الأولى المنصورة، القاهرة، 1983م، ص 219.

(2) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (908/ 1405/ العبر، وديوان المبتدأ والخبر، ج6، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م، ص 110.

(3) أبو عبد الله محمد بن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق ومراجعة الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1980م، ص 46.

(4) أبو محمد علي بن سعيد بن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق محمد هارون، ط5، دار المعارف ، مصر، ص 495.

تسمية الملثمين:

أما سبب تسميتهم فقد وردت أقوال كثيرة في سبب تسميتهم بذلك، منها إن أجدادهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر، ويذهب إلى هذا الرأي من ظن إن أصل قبائل صنهاجة يرجع إلى الهجرات القديمة من المشرق لأسباب متعددة، منها اقتصادية، وسياسية [1].

ومنها أنهم آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا قلة فاضطروا للهرب لما غلبهم أهل الكفر فتلثموا بقصد التمويه، وقيل : إن طائفة منهم أغارت على عدو لهم فخالفهم إلى موطنهم وهي خالية إلاّ من النساء والأطفال والشيوخ، فأمر الشيوخ النساء بأن يرتدين لباس الحرب ويتلثمن، ففر الأعداء، وهكذا اتخــذوا اللثام سنة يلازمـــونه وارتقى عندهم إلى مستوى رفيـــع في حيـــاتهم وأعرافهـــم[2].

كانت القبائل[3] الصنهاجية امتداداً لقبائل صنهاجة التي كانت في الشمال والتي تكونت منها الدولة الزيدية الصنهاجية في المغرب الأدنى والأوسط وكانت القبائل الصحراوية الجنوبية، تختلف عن أقربائها في الشمال في أنها تتلثم أو تتقنع، ولهذا سميت بصنهاجة اللثام، وقد اختلفت الآراء حول أصل هذه العادة، وأغلب الظن أنهم أخذوها من زنوج أفريقيا المجاورين الذين استخدموا الأقنعة لرفع العين الشريرة عنهم، ويقول المؤرخ والجغرافي المعاصر أبو عبيد[4] البكري :(وجميع قبائل الصحراء يلتزمون بالنقاب، وهو فوق اللثام، حتى لا يبدو منه إلاّ محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال، ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه إلاّ إذا تنقب

---

(1) علي محمد الصلابي : المرجع السابق، ص 8.

(2) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ،الجزء التاسع، 1989م - 1408هـ، بيروت ، لبنان ، ط1، ص 232.

(3) عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (أبو الفداء): تاريخ أبو الفداء ، ج2، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، ص 175.
أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 287 - 335، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1990م، ص 289.

(4) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري : المغرب في وصف أفريقية والمغرب، نشر دي سيلان، 1911م، ص 170.

أو كذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه، لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع، وصار ذلك الذم من جلودهم.

وكانوايلبثون الغفـــائر القرمزية اللـــون، والعمائم ذات الذؤابات[1] .

كذلك أشاد المؤرخون بشجاعة الملثميـــن في القتـــال، فقـــال البكري[2]:(ولهـــم في قتالهم شدة وجلد ليس لغريمهم وهم يختارون المـــوت على الإنهـــزام) .

ولا يعتبر الفرد كامل الرجولة إلاّ إذا ارتدى لثامه ولهذا يقيمون الاحتفالات عند بلوغ الأولاد سن الرشد بارتداء اللثام[3]

موطـــن الملثمـين:

حدد لنا المراكشي [4] المجال الجغرافي المصامـــدة في قوله :(فحد بلادهم ـــ أي بلاد المصامدة ـــ النهر الأعظم الذي يصب من جبال صنهاجة وينتهي إلى البحر الأعظم بحر اقيانس، يدعى هذا النهر أم الربيع وآخر بلادهم الصحراء التي سكنتها لمتونه ومسوفة. فهذا حد بلاد المصامدة عرضاً وحدها طولاً من الجبل المعروف بدرن ـــ جبل الأطلس ـــ إلى البحر الأعظم اقيانس.

ومن خلال التصنيف الذي ذكره ابن خلدون[5]، سوف نحاول الوقوف على أهم تلك المجموعات التي صنفها المجوعة الأولى مصامدة الجبال ويقصد بهم سكان جبل درن والريف ويذكر ابن خلدون أنهم يمثلون الغالبية الكبرى من مجموع القبائل المصمودية.

---

(1) أحمد مختار العبادي : المرجع السابق نفسه، ص 289.
(2) البكري: المصدر نفسه، ص 166.
(3) عبد الباقي محمد أحمد كبير، المرابطون ودودورهم في نشر الإسلام غرب أفريقيا، رسالة ماجستير، القاهرة، جامعة الأزهر، 1984م، ص 63.
(4) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1..
(5) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 25.

ويبدو إن المصامدة[1] قد استقروا بهذا الجبل وتكيفوا مع الطبيعة القاسية نظراً لما يذخر من خيرات كانت مصدر رزقهم.

سكن الملثمون الصحراء الكبرى الممتدة من غدامس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال درن شمالاً إلى أواسط الصحراء الكبرى جنوباً.

ولم تكن هذه الأماكن والمواطن تجري بها أنهار وكانت قليلة الأمطار وأحياناً تحبس عنها الأمطار لسنوات عديدة، فيتعرض سكانها للمجاعة فيرتحلون لطلب الماء والكلأ، فتفرقوا حول الواحات الصغيرة في تلك الصحارى الممتدة الأطراف وكونوا قرى بدائية تتماشى مع ظروف حياتهم الرعوية[2].

أهميــة موقــع الملثمـين:

كانت بلاد الملثمين الممر الوحيد بين بلاد الأندلس وأواسط إفريقية، فكانت تسلكه القوافل على ثلاث طرق، الطريق الأول : وهو الطريق الساحلي على المحيط الأطلسي من أغادير ماراً بنواكشوط حتى مصب نهر السنغال، أما الطريق الثاني : وهو الأوسط فيمتد من أواسط المغرب إلى قلب الصحراء حيث بلدان مالي والنيجر، يبدأ هذا الطريق من سلجماسة ويمر بأركي حتى أودغشت في بلاد النيجر.

الطريق الثالث : وهو طريق الصحراء يمتد من السودان الغربي إلى أواسط الصحراء شرقاً، ولا تخلو هذه الطرق من صعوبات طبيعية، فالتحرك يمحي معالمها وتتعرض القوافل المارة بها للمخاطر ولذلك احتاجت هذه القوافل للقصاص الملثمين لكي يقودوهم إلى بر الأمان [3] .

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 68.

(2) علي محمد الصلابي : فقه التمكين عند دولة المرابطين، إقرأ للنشر، ط1، القاهرة، المرجع السابق، ص 8.

(3) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 10.

الأمير يحي بن إبراهيم الزعيم السياسي: (انظر ملحق رقم (1)

كانت الرياسة بين القبائل الصنهاجية لقبيلة جدالة، وكان يتزعمها إبراهيم بن ترغوت، وخلفه في الرياسة ابنه عمر ثم حفيده يحي[1].

خرج يحي بن عمر للحج سنة 427هـ / 1036م وأنه لقى في طريق عودته الفقيه أبا عمران الفاسي وكان من أكبر فقهاء المالكية في القيروان في عهده، واستمع ليحي بن عمر الجدالي إلى دروسه، اشتاقت نفسه إلى أن يرى في بلاده فقيهاً مثله. يلقي دروسه في منازل قبيلته ويعلمهم الكتاب والسنة ويفقههم في الدين، فتحدث إلى ابن عمران[2] الفاسي في ذلك.

وتذكر كتب التاريخ أن أبا عمران الفاسي هو الذي وضع الخطوط الأولى مع الزعيم يحي بن إبراهيم لقيام دولة صحراوية سنية في المغرب على أسس دينية صحيحة، كي تستطيع القضاء على الفوضى السياسية والدينية التي كان المغرب يتخبط فيها منذ سنوات عديدة[3].

وكان يحي بن إبراهيم حريصاً على أخذ فقيه أو عالم معه إلى قومه، ورأى أبو عمران الفاسي، من أجل تحقيق الأهداف التي رسموها أنه لا بد من المرور بمراحل ضرورية في بناء الدولة المنشودة، من مرحلة التعريف بالمنهج وتكوين أفراده، وتربيتهم عليه، وتنفيذ السياسة المرسومة بعد التكوين للوصول إلى مرحلة القوة والتمكين.

قال الله تعالى :(الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)[4].

---

(1) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 182.

(2) حمدي عبد المنعم محمد حسين، تاريخ المغرب والأندلس في عهد المرابطين. مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1986م، ص 38.

(3) أحمد مختار العيادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ص 271.

(4) سورة الحج، الآية : 41.

أبو عمران الفاسي:

مهندس الخطوط العريضة لدولة المرابطين (368 ـ 430هـ):

هو موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخير الغفجومي، وغفجوم فخذ من زناته من هوارة، وأصله من فأس، وبيته بها بيت مشهور، يعرفون ببني أبي حاج، ولهم عقب، وفيهم نباهة إلى الآن[1].

تفقه بالقيروان عند أبي الحسن القابسي، وسمع بها من أبي بكر الدويلي، وعلي بن أحمد اللواتي السوسي، ورحل إلى قرطبة، فتفقه بها عند أبي محمد الأصيلي، وسمع الحديث من أبي عثمان سعيد بن نصر، وعــبد الوارث بن ســفيان، وأحمد بن قاســم، وغــيرهم، ثم رحل إلى المشرق، فحج ودخل العراق[2].

سمع من أبي الفتح بن الفوارس، وأبي الحسن علي بن إبراهيم المستملي، وأبي الحسن الخضر، وغيرهم من العراقيين، ودرس الأصول على القاضي أبي بكر الباقلاني وسمع بالحجاز من أبي فراس، وأبي القاسم السقطي، وبمصر من أبي الحسن بن أبي جدار، وأحمد بن نور القاضي، ثم رجع إلى القيروان، وسكنها وأصبح سيدها المطاع، وأقبل عليه طلاب العلم من كل صوب وطارت فتاويه في المشرق والمغرب.

وكان يحدث بصحيح البخاري و " التاريخ الكبير " له أيضاً " وتصحيف المحدثين " للدار قطبي، وكان يتحدث كذلك بمصنفاته في الحديث والرجــال والفقــه[3].

وكان العامة من أهل القيروان يرجعون إليه فيما يلم بهم ويستفتــونه[4].

---

(1) القاضي عياض بن موسى بن عياش: ترقيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. (سبته 476 ـ 544هـ) تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود، ج7، ص ص 243 ـ 244.

(2) الصلابي، مرجع سابق، ص 24.

(3) الصلابي، المرجع السابق، ص 25.

وكان من أحفظ الناس، وأعلمهم، وكان يجمع بين حفظ المذهب المالكي، وحفظ الحديث النبوي والمعرفة بمعانيه، وكان يقرأ بالسبعة، ويجودها[1].

وقال الذهبي الإمام الكبير العلامة عالم القيروان.. أحد الأعلام ــ تخرج على يديه خلق من الفقهاء، والعلماء[2].

قال أبو بكر الباقلاني لأبي عمران الفاسي : "لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر ــ وكان إذ ذاك بالموصل ــ لأجتمع فيها علم مالك أنت تحفظه وهو ينصره، لو رآكما مالك لسر بكما "[3].

توفى رحمة الله سنة ثلاثين وأربعمئة من الهجرة .

يبدو أن يحي بن إبراهيم زعيم جدالة، قد أرتاد أسواق المغرب الأقصى متاجراً أو زائراً، فأحس بالبون الشاسع بين البيئتين : بين بيئة المغرب الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة، وبيئة الصحراء التي يظلها الجهل، فآثر أن يأخذ علماً يعلم أفراد قبيلته، فقصد القيروان وانتدب به أبو عمران الفاسي الشيخ عبد الله بن ياسين[4].

الربــــــــاط:

في الأصل هو المكان الذي تجتمع فيه الخيل استعداداً لمقاتلة العدو، وترتبط الكلية بواجبات الجهاد[5] ، وحينئذ يقصد بالرباط إرتباط الخيل إزاء العدو في الثغور، وفيها جاء تعريف مرابط أي الملازم لشغل العدو لقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[6].

---

(4) الأمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1402هـ، ج17، ص 546.

(1) القاضي عياض : مصدر سابق، ج7، ص 246.

(2) الذهبي، مصدر سابق، ج17، ص 545 - 546.

(3) القاضي عياض : مصدر سابق، ص 246.

(4) رسالة ماجستير، الشيخ الأمين عوض الله، ص 32.

(5) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص 171.

(6) سورة آل عمران، الآية : 200.

والرباط هو بناء يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين، استعداداً للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين، فهو بناء يجمع الصفتين الدينية والحربية، ويسمى من يسكنه مرابطاً، وقد كان بناء الأربطة من أهم الأعمال التي يقوم بها الأمراء والخلفاء[1].

وقال تعالى :(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ..)[2]".

هناك خلاف حول تحديد مكان هذا الرباط لأن شواطئ المغرب والأندلس كانت تعج بالأربطة منذ زمن طويل قبل بنائه ولكن رباط ابن ياسين كان مميزاً عن سابقاتها حيث أضحى نواة لتلك الإمبراطورية الواسعة التي تمتد من حوض النيجر والسنغال في أواسط أفريقيا إلى ضفاف نهر التاجة وأبرو في الأندلس وأضحى اسم المرابطين علماً لتلك الدولة الكبيرة[3].

كان رباطابن ياسين يضم نحو ألفا رجل وسمـــوا بذلك لشـــدة صبرهم[4] وحســـن ولائهم[5].

أبو بكر بن عمـر:

سار أبو بكر بن عمر بالحركة في طريقها، وكان يستعين في عمله بالظاهريين من قرابته وأهل بيته وخاصة ابن عمه يوسف بن تاشفين وكان شاباً واسع الطموح.

أنشـــاء مــراكــش:

وحوالي 461هــ ، 1068م ــ 1069م، كان سلطان المرابطين قد استقر في حوض نهر ناسفيت الفسيح، وظهرت ضرورة إلى إنشاء قاعدة سياسية وعسكرية للحركة في ذلك السهل الذي أصبح مركز الحركة كلها، وكانت قريتان بدائيتان، على ضفاف نهر صغير من

---

(1) السيد عبد العزيز ، المرجع السابق، ص 607 – 608.
(2) سورة الأنفال، الآية: 60.
(3) أحمد بدر، تاريخ الأندلس ، مكتبة الأطلس، دمشق، 1983م، ص ص 202 - 203.
(4) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 209.
(5) عبد الرحمن حجي، التاريخ الأندلسي، الطبعة الأولى، 1983م، القاهرة، ص 420.

نهيرات تانسفيت، يجري من الجنوب ويصب في النهر، وكان كل منهما تسمى أغمات[*] وتسمى باللغة الأوروبية كرال Kraal وتسمى بالعربية بالمجمع، وكان واحد من الإغماتين ملكاً لقبيلة هيلانة أو ابن ابان وللثانية ملكا لقبيلة أوريكة وانضمت هذه القبائل المصمودية إلى الحـــركـــة المرابطيـــة[1].

تنافست القبيلتان كل منهما تريد أن تنشأ القاعدة في أغماتها، وانتهى الأمر بأن تنشأ في الأغماتين معاً.

أطلق عليها اسم مراكش[2]، وهي بالبربرية مروكش، ومعناها قصر الحجر. لأن مباني المدينة أقيمت بالحجر، وما لبثت المباني الرئيسية في المدينة أن نمت ومضى الناس ينشئون البيوت والأسواق.

وبينما كان أبو بكر بن عمر يرقب العمل في بناء مدينته الجديدة بعد أن تزوج بزوجة جميلة تسمى زينب بنت إسحاق النفزاوية بلغه خبر أن قبيلة جدالة وثبت على قبيلة لمتونة في الصحراء، وأنزلت بها مذبحة، فقرر العودة للصحراء لنجدة لمتونة. وجمع رؤساء قومه وطلب منهم أن يختاروا من بينهم رئيساً لهم في غيابه، فاختاروا ابن عمه يوسف بن تاشفين وكان تاشفين والد يوسف أخاً ليحي وأبي بكر بن عمر بن إبراهيم ابن ترغوت.

وترك أبو بكر بن عمر ثلث القوة المرابطية مع يوسف بن ناشفين، وأخذ الثلثين ومضى إلى منازلة لتمونة وجدالة وراء الصحراء سنة (463 هــ ــ 1071م).   وفي سنة (453هــ)[3] عاد أبو بكر بن عمر من مهمته في الصحراء التي استغرقت سنتين. وقد هاله ما رأى من ضخامة جيوش يوسف بن ناشفين،

(*) الأغمات : هو اللقط البربري الذي يطلق على القرية البدائية التي تتألف من سور من الطين والقصب وفروع الشجر، حسين مؤنس، مرجع سابق. ص 187.

اغمات هما في الواقع مدينتان : اغمات وريكة واغمات هيلانه تقعان جنوب مراكش، وبينهما نحو من ثمانية أميال، وبإغمات وريكة يسكن الأعيان وينزل التجار لأنها دار التجهيز للصحراء وبها نهر يشق بعضه المدينة يقال له تاميزوت . الاستبصار، مصدر سابق، ص 207.

(1) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 187.

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 188.

(3) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 184.

وإدرك أنه لا قبل له بمناوأته، فتنازل له عن السلطة وسلم إليه أمر المغرب أمام شيوخ لمتونة وأعيان الدولة المرابطية وأمراء المصامدة والكتاب والشهود[4].

يوسف ابن تاشفين القائد لدولة المرابطين[1]:

يوسف بن ناشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي، وأمه بنت عم أبيه فاطمة بنت سيد بن يحي بن وجاج ابن ارتقين، وكانت قبيلته قد سيطرت بسيادتها وقيادتها على صنهاجة، واحتفظ بالرئاسة منذ أن جعلها الإمام بن ياسين فيها بعد وفاة الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي، فنما عزيزاً كريماً في قومه [2].

قال عنه المؤرخون أمثال أشياخ[3] "خلق للزعامة"، كان أسمر اللون فقيه معتدل القامة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، رقيق الصوت، أكحل العيــنين، أفقــي للأنف، له وفرة تبلغ شحمة الأذن مقرون الحاجبين، أجعد الشعر [4].

ورث يوسفبن ناشفين عند تولية قيادة المرابطين :(433هــ ــ 1071م) كل النتائج التي حققها قبله في المغرب عبد الله بن ياسين ويحي بن عمرو أخوه أبوبكر، فاختار لنفسه لقب أمير المسلمين، وهو لقب مبتكر كان أول من اتخذه، ولم نسمع كذلك بأن أي رئيس دولة إسلامية اتخذه، وجعل من سجلماسة قاعدة جنوبية لدولته، فأصبحت مركز تجمع للصنهاجين الصادرين من الصحراء، وأهتم كذلك بمراكش وسهلها. [5]

أنشئت مدينة مراكش عام (462هــ ــ 1069م) لتكون عاصمة للأقطار المغربية المترامية التي تم له افتتاحها.

---

(4) السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 13.

(1) محصول : الحلل المؤسسية في ذكر الأخبار المراكشية، تونس، 1329هـ، ص 16.

(2) الصلابي : المرجع السابق، ص 56.

(3) يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ترجمة محمد عبد الله عنان، ص 65.

(4) أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، (أبريل 606هـ - 26 رجب، 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس ، بيروت،

(5) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 190.

انظر : (النويري) أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الإرب في فنون الأدب، ج4، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة: ط1، 1423هـ ، ص 262.

وأصلح يوسف مدينة فاس بعد دخوله إليها، وجعلها مدينة واحدة بعد أن كانت مدينتين، وأدار عليها سوراً حصيناً، وأكثر من إنشاء المساجد فيها[6].

وأفلح يوسفبن تاشفين في التغلب على مقاومة كل القبائل التي كانت قد انفردت بنواحيها في (بيط الهبط أو هبط عُماره) ثم استولى على ممر تازا في وسطه، وابتنى بها مسجداً جميلاً ما زال باقياً إلى اليوم، ومن ممر تازا. مضى يوسف بن تاشفين إلى إقليم تلمسان وبسط سلطانه على وادي ملوية الذي يصل إلى سلجماسة[1] [*] .

وواصلت قواته السير شرقاً في منازل صنهاجة المغرب الأوسط ودخلت مدينة الجزائر. وبنى فيها مسجد لا يزال باقياً إلى اليوم.

كما عمل يوسفبن ناشفين على إصلاح الأحوال الاقتصادية فرفع الضرائب، وعين عمالاً على البلاد من ذوي السمعة الطيبة، الذين عملوا على نشر الأمن والعدالة في البلاد وعين لكل حاكم فقيهاً برتبة مستشار حتى لا يحيد أحد عن الشريعة الإسلامية في أحكامه[2].

قامت الدولة المرابطية على أساس ديني، ومع ذلك فإن تلك الفترة التي بدأت بحكم يوسف بن تاشفين يمكن أن تعتبر فترة سياسية أكثر منها دينية.

ويعد يوسف أول ملك بربري حكم المغرب وكون جيشاً قوياً تمثلت فيه جميع القبائل العربية بصفة عامة[3].

أهم المراحل في فقه الدعوة إلى الله التي مر بها الإمام ابن ياسين، حيث نجده نجح نجاحاً عظيماً في تنفيذ مرحلة التعريف والتكوين، والتنفيذ، واستشهد في مرحلة التنفيذ، وتولى القيادة في هذه المرحلة أبو بكر بن عمر الذي سار على نفس المنهج الذي رسمه ابن ياسين.

---

(6) الحلل، مصدر سابق، ص 6.

(1) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 91.

(*) سجلماسة : مدينة عظيمة من أهم مدن المغرب، تقع على طرف الصحراء، يقول صاحب الاستبصار إنها بينت سنة 140 هجرية أسسها مدرار بن عبد الله ولها اثنا عشر باب، وهي كثيرة النخل والأعناب وسائر الفواكه، وتحمل اليوم اسم الريماني، الاستبصار ص 200 - 201 - 203.

(2) محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، 2007م، ص 27.

(3) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي، ص 115.

واستمر في فتح مدن المغرب، إلا أنه ترك نصف الجيش المرابطي لابن عمه يوسف ودخل بالباقي نحو الجنوب داعياً ومجاهداً ومصلحاً، واستمر في فتوحاته حتى استشهد ــ رحمه الله ــ وتولى الأمر بالكلية القائد الرباني تاشفين الذي أنهى مرحلة التنفيذ وانتقل إلى مرحلة التمكين[4].

المبحث الثالث

عبد الله بن ياسين مولده ونشأته ودعوته

مولده :

هو عبد الله بن ياسين[1]، ابن مكوك بن سير بن علي بن الجزولي، أصله إلى قبيلة جزولة الضاربة في أقصى المغرب قرب جبال درن، ولد في قرية تيما ما ناوت في طرق صحراء مدينة غانة، أي في أحواز مدينة أودغشت[2] .

ويرجح الدكتور حسن[3] محمود نسبته إلى قبيلة جدالة التي تضرب قرب منطقة السنغال وتوغل جنوباً حتى منحنى النيجر' وأن من السهل أن يحرف الرواة إسم الجدالي إلى الجذالي، أو الجزولي.

درس على فقيه السوس وجاج بن زلو، رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين[4]، واجتهد في تحصيل العلوم الإسلامية، ثم أصبح من خيرة طلاب الفقيه، وجاج بن زلو فعندما طلب أبو عمران الفاسي من تلميذه وجاج أن يرسل مع

---

(4) الصلابي، مرجع سابق، ص 67.

(1) د. محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007م، ص 24..

(2) االبكري : المصدر السابق، ص 165.

(3) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 113.

(4) السلاوي : شهاب الدين أبو العباس: الاستقصاء لأخيار دول المغرب الأقسى، ج2، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري ، دار الكتب، الدار البيضاء، ط2، 1997م، ص 7.

يحي بن إبراهيم فقيهاً عالماً فأنتدب لذلك رجلاً منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولي، وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والــورع والسياسة[5].

قام عبد الله بن ياسين[6] بنشر الإسلام في صفوف البربر، ومع مرور الزمن تكونت حول شخصية بن ياسين جماعة من أتباعه، وأخذت هذه الجماعة في الزيادة وأخيراً قاد أتباعه في سنة 1042م (434هــ) الذين سماهم بالمرابطين وهاجم القبائل المجاورة وأرغمهم على قبول الإسلام.

نشأته :

كان عبد الله بن ياسين فقيهاً شديد الورع والغيرة على الإسلام وخطيباً موهوباً قوي التأثير فأخذ يبث تعاليم الدين بين أولئك البدو الصحراويين ويبصرهم بأحكام الإسلام ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، بيد أنه اشتد في مؤاخذتهم، ومطالبتهم بالإقلاع عن تقاليدهم المنافية للإسلام مثــل الزواج بأكثر من أربــع، وغير ذلك من التقاليد، فساءت العلاقة بينهم فنهبوا داره وهدموهــا[1].

قيل عن عبد الله بن ياسين أنه كان عنيفاً شديد الصرامة، وأن منهجه في الدعوة لم يقم على الحوار والجدل بالتي هي أحسن، ولا يمكن دفع هذه التهم بمجرد السفسطة أو الكلام العاطفي، لأن ما فعله ابن ياسين هو قيادة ثورة، ولكل ثورة عيوبها في النص والتطبيق[2].

لكن الأسوأ أن عبد الله بن ياسين كان يجابه منافسين من بعض الفقهاء والزعماء المحليين.

---

(5) صلاح آدم عيسى محمد، رسالة ماجستير : قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي، إشراف دكتور عصام محمود عثمان، جامعة النيلين، 2017م، ص 26.

(6) العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغي، رسالة ماجستير، الشيخ الأمين محمد عوض الله، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، 1976م، ص 33.

(1) البكري : المصدر السابق، ص 165 ، 166.

(2) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي بمصر، ط1، 1980م، ص 20.

(3) ندوة عبد الله بن ياسين، 14 ديسمبر 1997م، الطبعة الأولى، 1998م، اليوكسيي للطباعة والنشر، إبراهيم حركات، الندوة 5.

كان ابن ياسين يفرض على من يخالف تعاليمه عقوبات رادعة[3] ، وذلك فإن تعاليم المرابطين تشبه إلى حد كبير تعاليم الخوارج الإباضية[4]، وقد استطاع عبد الله بن ياسين أن يؤلف جيشاً محارباً تحت قيادة يحي بن عمر، وشرع في نشر تعاليمه بين قبائل صنهاجة[5].

أهم الصفات الفطرية التي ظهرت في سيرته[1] :

1- **الذكاء** : كان عميق الفهم صاحب حجة، يقيم الدليل على خصومه من الفقهاء، والمحليين الذين تحالفوا مع الأمراء والأعيان للقضاء عليه أو طرده.
2- **الشجاعة** : حيث أنه دخل الصحراء داعياً إلى الله مع إن غيره من تلاميذ أبي عمران الفاسي اعتذروا.
3- **المهابـــة:** كان مهيباً قوياً شديداً فمن الأدلة على قوته البدنية، خوضه الحروب بنفسه وتقدمه في ميدان الفروسية.
4- **الأمانـــة:** حيث وجد الفقيه عبد الله بن ياسين أن القلوب التفت حوله وأصبح الآمر الناهي في قبائل الملثمين لم ينافس الأمير يحي بن إبراهيم في منصبه، بل نجده لم يتجاوز حدوده ولم يتدخل في سلطات الأمير يحيى[2].

(4) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 309.
(5) حسن مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1992م، ص 184.
(1) علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي الموحدين والمرابطين في الشمال الأفريقي، دار بن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الاولى، 2007م، ص 28.
(2) علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند ملة المرابطين، مؤسسة إقرأ للنشر، ط1، القاهرة، ص 19 – 22.

5- **الحيـــاء** : الحياء هو شعبة من شعب الإيمان، ويظهر ذلك جلياً عندما طلب شيخه منه الذهاب مع يحي ابن إبراهيم الجدالي للدعوة فلم يعارض ولم يناقش[3].

6- **الحــلم** : نجده عندما تمكن من قبائل جدالة ولمتونة التي حاربت دعوته عفا عنها وأحسن إليها، وكل من إنصاع لأحكام الله من المخالفين عفا عنه[4].

7- **الجاذبية الفطرية** : لقد استطاع أن يملك قلوب من جالسوه وسمعوا حديثه من أمثال يحي بن إبراهيم، ويحي بن عمر، وأبي بكر بن عمر، وغيرهم من قادة الصنهاجيين وشيوخهم.

1- **الصدق** : وظهر ذلك في أقواله وأفعاله ومخالطته للناس، فكان صادقاً في دعوته وفي عرضها.

ولمس الناس صدقه في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وفي حربه للبدع، وفي تعليمه للناس وجهاده في سبيل الله[1].

وحثنا القرآن على التخلق بهذه الصفة في قوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ)[2].

2- **ضبط النفس والابتعاد عن التهور والإنفعال:** يظهر ذلك عندما باشر الأمير يحي بن عمر اللتموني القتال، ومضى الحرب بنفسه فأدبه ابن ياسين وضربه بالسوط عشرين مرة.

3- **الإرادة القوية** : كان ذا همة وعزيمة لا تهدها الجبال، آمن بسمو دعوته، وقدسية فكرته، وعزم على أن يعيش لها ويموت في سبيلها.

---

(3) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 23 – 25.
(4) على محمد الصلابي، تاريخ دولة المرابطين والموحدين، ص 33 - 34.
(1) على محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 26.
(2) سورة التوبة، الآية : 119.

الصفات العقلية التي ظهرت في شخصية ابن ياسين :

1- **القدرة على الفهم والاستيعاب**[3] : استطاع ابن ياسين أن يفهم ويستوعب المناهج العلمية التي كانت في زمانه من فقه وحديث ولغة وأصول وغيرها من العلوم حتى تأهل لأن يكون أهلا لحمل الرسالة التي كلفه بها شيوخـــــه.

2- النظرة الثاقبة والقدرة على الوصول للقرار الحاسم دون تردد ويظهر ذلك في سيرة الفقيه عبد الله عندما طلب فقهاء سلجماسة ودرعة في عام 447هـــ منه القدوم ليخلصهم من الحكام والطغاة الظلمة من ذتانة المغراويين ومن أميرهم مسعود بن واندين[4].

الصفات الحركية التي ظهرت في شخصية بن ياسين:

1- **الشعور بالمسئولية**[1] :

بدأ الشعور بالمسئولية في حياة ابن ياسين بعد أن رغب في التحصيل والتزود بالعلم والاستعداد للدعوة.

2- النظـــــام والدقــــــة[2]:

وظهرت صفة النظام في شخصية الفقيه عندما تكاثر عدد المريدين في رباطه الذي اتخذه قريباً من نهر السنغال، حيث وضح شروطاً في قبول كل جديد كي يحفظ صفو جماعته من المخربين.

3-القدرة على التعامل مع الناس:

تميزت شخصيته بمقدرته في تعامله مع أصناف الناس من أمراء وعوام وتجار وغيرهم من طبقات المجتمع.

4- الاستعداد للبذل والتضحية بكل شيء [3]:

---

(3) الصلابي : فقه التمكين ، المرجع السابق، ص 28.

(4) الصلابي: المرجع السابق، ص 29.

(1) المرجع السابق، ص 3.

(2) الصلابي، المرجع السابق، ص 31.

نجد الفقيه قد بذل نفسه وماله ووقته وحياته، وكل شيء في سبيل الغاية التي خرج من أجلها إلى قبائل صنهاجة.

قال تعالى:(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴾[4].

دعـوتـه :

يعتبر الفقيه ابن ياسين من علماء أهل السنة والجماعة مالكي المذهب، استمد أصول فهمه من المالكية، إلا أنه كان له اجتهاداته الحركية والتنظيمية التي أملتها عليه طبيعة دعوته.

ويرى علماء المالكية الذين تتلمذ ابن ياسين على كتبهم وفقههم أن المذهب المالكي له أصوله في الاستنباط واستخراج الأدلة الشرعية ومن هذه الأصول:

المصدر الأول : القرآن الكريم:

كان الإمام مالك يرى أن القرآن قد اشتمل على كليات الشريعة، وأنه عماد الدين. وأية الرسالة، وروى أنه كان يقول أن من يقول أن القرآن مخلوق فهو زنديق يجب قتله[1]، أن القرآن هو المرجعية العليا لابن ياسين لإيمانه بقوله تعالى : لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ[2].

---

(3) الصلابي ، المرجع السابق، ص 32.

(4) سورة التوبة، الآية 20 – 21.

(1) ايناس حسين: تاريخ المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين وحتى سقوط دولة بني الأحمر، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية: 2015م، ص 60.

(2) سورة فصلت ، الآية: 42.

المصدر الثاني : السنة النبوية:

اعتمد المرابطون على السنة النبوية وألزموا أنفسهم وغيرهم بمنهج الله تعالى والسنة عند المرابطين وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله مستندين بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [3].

والسنة هي البيان النظري والتطبيق العلمـــي للقـــرآن في ذلك كلـــه[4].

ودلت أحاديث على وجوب إتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك سعى المرابطون لتحقيقها في حياتهم، وروى أبو هريرة [1]: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(كل أمتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى، قيل من يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقـــد أبى).

المصدر الثالث : عمل أهل المدينة [2]:

الذي اهتمت به المدرسة المالكية المغربية السنية، وعموماً عمل أهل المدينة حيث أنها دار الهجرة، وبها تنزل القـــرآن.

المصدر الرابع: قول الصحابة[3]:

جعل المالكية قول الصحابة الذي لا يعرف له مخالف حجة، واعتمدوا في ذلك على ما ذكر الإمام مالك في (الموطأ) وحين تتحد أقوال الصحابة في المسألة الواحدة يختار علماء المالكية من أقوالهم ما يتفق مع عمل أهل المدينة[4].

---

(3) سورة النساء، الآية: 59.
(4) ايناس حسين البهجي، المرجع السابق، ص 62.
(1) البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله ، صحيح البخاري، ج9، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، ص 92.
(2) رسالة ماجستير، صلاح آدم عيسى، ص 37.
(3) رسالة ماجستير، صلاح آدم عيسى، ص 37، إيناس حسني، المرجع السابق، ص 64.
(4) الصلابي، المرجع السابق، ص 53.

المصدر الخامس: المصالح المرسلة[5]:

اعتبر المالكية المصالح المرسلة دليلاً شرعياً في الحياة، وأصلوا لها أصولاً في جلب المنفعة، ودفع المفسدة وقاسوا بهذه القواعد الأمور التي لم يشهد لها في الشرع بأبطال.

المصدر السادس[6]: القيـــاس:

وهو من أصول المنهجية العلمية التي سار عليها ابن ياسين وربى عليها أتباعه.

المصدر السابع : سد الذرائع:

سار عليه ابن ياسين في منهجه العلمي في تأصيل أصول فقه مذهبه، وسار على نهج فقهاء المالكية في الاقتداء بالإمام مالك رحمه الله.

وفـــاته :

قتل عبد الله بن ياسين سنة 451هـــ ــ 1059م، وبذلك اختفت تلك الشخصية الفريدة التي جمعت متناقضات كثيرة، من إيمان وحماس ديني شديد وميل مفرط إلى النساء والاستمتاع، وزهد وميل إلى التصوف، إلى جانب النزوع إلى السلطان والجاه.

وحد قبل موته صفوف الصنهاجيين تحت راية الجهاد في سبيل الله وأشعرها بقوتها وأعطاها غايات وأهداف دينية وسياسية واضحة [1].

دارت معركة بين المرابطين والبرغواطيين استشهد فيها عبد الله بن ياسين على الرغم من نصائحه ومبادئه التي كان يرددها دائماً أن حياة الجيش تتوقــف على حياة القائد.

---

(5) إيناس حسين: المرجع السابق، ص 63.

(6) إيناس حسين، المرجع السابق، ص 65 – 66.

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 186.

ودفن عبد الله بن ياسين على ربوة قريبة من الرباط على وادي كريفلة أحد فروع وادي أبي الرقراق، ولا يزال قبره هناك في هذا المكان ويسميه أهالي تلك الناحية سيدي عبد الله مولي الغارة[2].

الفصل الثاني

دول الطوائف ودورها في إضعاف المسلمين في الأندلس

المبحث الأول: أسباب ضعف المسلمين في الأندلس

(2) أحمد مختار العبادي : مرجع سابق، ص 316.

المبحث الثاني: الصراع بين طليطلة وقرطبة

المبحث الثالث : المعتمد بن عباد وأطماع الفونسو التوسعية

المبحث الأول

أسباب ضعف المسلمين في الأندلس

شغل عصر الطوائف من تاريخ أسبانيا المسلمة زهاء ثمانين عاماً منذ انهيار الخلافة الأندلسية، على إثر انهيار الدولة العامرية (399هـ ـ 1009م) وتفكك الدولة الأندلسية الكبرى وانقسامها إلى وحدات متعددة، تقوم في كل وحدة منها دولة أو مملكة من ممالك (الطوائف)، تزعم لنفسها الاستقلال والرياسة المطلقة، ولا تربطها بجاراتها أو زميلاتها أية رابطة، إلاّ أن تكون المنافسة، أو الحرب الأهلية في سبيل الغنم والتوسع[1].

(1) محمد عبد الله عنان : روابط الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ص 331.

استطاع عبد الرحمن الداخل أن يؤسس إمارة أموية في الأندلس سنة 138هـ، وبدأ عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316هـ ــ 929م)، عندما أعلنها عبد الرحمن الناصر، الذي اشتهر بالحزم والذكاء والعدل، والعقل والشجاعة، وحبه للإصلاح وحرصه عليه.

ووحد الأندلس بالقوة والسياسة وأعاد وحدتها وقوتها ومكانتها، وحارب المتمردين من حكام الشمال الأسباني وأخضعهم لشروطه[2].

كان سبب إعلانه الخلافة[3]. في الأندلس ضعف الخلافة العباسية، وظهور الدولة العبيدية في الشمال الأفريقي، فأعلن الخلافة، وتلقب بأمير المؤمنين[4] الناصر لدين الله، وفي عام (400 هـ ــ 1009م)، بدأ ظهور عصر الطوائف في الأندلس الذي دام حتى عام 484هـ ــ 1091م.

لقد انقسمت الأندلس إلى دويلات، واتخذ حكامها ألقابهم تبعاً لحجم دويلاتهم فأحدهم ملك أو أمير، أو والي، أو قاضي.

نظراً لاختلاف القوى والرياسات فقد أخذ القوي يبطش بالأضعف والأضعف يدرأ الخطر بالتحالف مع جاره القوي وأحياناً يستنجد بالنصارى مقابل ثمن باهظ[1].

عهد ملوك الطوائف: (انظر ملحق رقم (2)

(1) بني جهـور:

---

(2) علي محمد الصلابي : فقه التمكين، مرجع سابق، ص 62.

(3) د. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، ص 168-170.

(4) د. أحمد مختار العبادي : مرجع سابق، ص 168 - 170.

(1) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص 77.

انظر : ص 62 وعلى محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص 62.

أسند القرطبيون أمرهم إلى شيخ الجماعة الوزير أبي الحزم جهور[2] بن محمد بن جهور في منتصف ذي الحجة سنة 422هـ، فأعطوا منه قوس السياسة باريها، أو ولوا من الجماعة أمينها، فاخترع لهم لأول وقته نوعاً من التدبير فاقترن صلاحهم به، وأجاد السياسة فانسدل به الستر على أهل قرطبة مدته[3].

استمرت حكومة قرطبة تنشر الأمن والطمأنينة لسنوات كثيرة. كانت تستند في ذلك إلى محلين استشاري مكون من خبر الرجال.

تختفي حكومة الجهاورة حين تضم قرطبة إلى ابن عباد في أشبيلية سنة 461هـ، 1069م.

(2) بنـــي هــود :

كانت مملكة سرقسطة من أعظم ممالك الطوائف من حيث سعة رقعتها وموقعها بين أسبانيا النصرانية في الشمال، وعرفت بولاية الثغر الأعلى، وعاصمتها مدينة سرقسطة التي بقــيت عاصمـــة المملكة أيضاً.

حكمت بقية أسرة بني تجيب هذه المملكة، بعد وقوع الفتنة المؤدية إلى قيام الطوائف، ثم انتقل الأمر إلى أسرة بني هود، وأولهم أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجزامي الملقب بالمستعين بالله (431هـ 438 ـ 1031 ـ 1046م) [1].

---

(2) البيان المغربي، مصدر سابق، ج3، ص 150 – 152. محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص 120.

(3) ابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني (شنترين - قرطبة) 542هـ أربعة أجزاء، ج1، تحقيق عبد الحميد العبادي، وعبد الوهاب عبد الوهاب عزام، ج1، الأول ص 115.

(1) ابن الأبار: أو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء.

قسم المستعين بالله المملكة ــ قبل وفاته ــ بين أبنائه الخمسة، وسبب هذا التصرف السيئ قيام صراع بين الأخوة[2].

(3) بنـــي عامــر :

تقع مملكة بلنسية شرقي الأندلس، تجاور من طرفها الشمالي مملكة سرقسطة.

حكم الصقالبة هذه المملكة مدة من الزمن ثم حكمها بنو عامر لأبناء الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، حيث بايع الصقالبة لحكمها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور سنة (411هــ ــ 1021م). ولقب بالمنصور. توفى عبد العزيز سنة (452هــ ــ 1061م) فخلفه ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر الذي تزوج ابنة المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، وعهد المأمون بأمور بلنسية إلى أبي بكر محمد بن عبد العزيز (ابن روبش) وجعله وزيراً ونائباً عنه في حكمها، فأحسن إدارتـــها وضبـــط أمـــورها وسار ســـيرة حسنة عدلاً ورفقـــاً[1].

(4) بنـــي عباد:

تأتي مملكة أشبيلية [2] في مقدمة دول الطوائف من حيث سعتها وتفوقها السياسي وكان لها شأن في أحداث هذه الفترة.

حكم بنو عباد هذه المملكة وحاولوا إلحاق مناطق أخرى إلى مملكتهم. وخضعت قرطبة لوقت ما لهذه المملكة[3].

تحقيق الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ج2، 1963م، ج2، ص 245..

(2) عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي. ط أولى، القاهرة: دار الاعتصام، 1983م، ص 356.

(1) عبد الرحمن علي الحجي، مرجع سابق، ص 368.

(2) عبد الله عنان، دول الطوائف، مرجع سابق، ص 61.

(3) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مراكش، تحقيق سعيد العريان، القاهرة، 1967م، ص 189.

ظهر نجم هذه الأسرة عقب ذهاب الخلافة، على يد كبيرها القاضي أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عباد اللخمي، وشغل أفراد هذه الأسرة مناصب للحكم المنتصر وابنه هشام المؤيد والمنصور بن أبي عامر.

كان إسماعيل عميد هذه الأسرة ومؤسس ملكها في أشبيلية، يبدو أن الذين تولوا بعده من أسرته في الحكم تنقصهم عدد من صفاته[4]، والمعتمد لديه شيء منها. وهم : ذو الوزارتين أبو القاسم محمد بن إسماعيل ابن عباد، ثم ابنه أبو عمرُ عباد بن محمد الملقب بالمعتضد، ثم ابنه القاسم محمد بن عباد الملقب بالمعتمد وهو آخرهم[5].

كان إسماعيل بن عباد موفور العقل وسُبوغ العلم مع الدهاء وبعد النظر وإصابة القرطســـة[*].

ثم إن إسماعيل وافاه أجله سنة أربع عشـــرة وأربعمائة. (414هـــ).

(5) بنـــو حمـــــاد[1] :

حكم الأدارسة الأفريقيون أو بنو حماد أصحاب مالقة[*] وحالفهم أمير غرناطة وقرمونة، والبيرة وجيان واستجة فضلاً عن حكمهم مليلة وطنجة وسبتة في شمـــال المغـــرب.

---

(4) ابن عذاري : البيان امغرب، ج3، ص 194.

(5) لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي أحمد السلماني: 776هـ، المجلد الأول، ج2، نشر يفي بروفنسال، تحت عنوان تاريخ أسبانيا الإسلامية، بيروت: 1956م، ج2، ص 152.

(*) القرطسة : هدف يوضع ليتدرب الرماة على إصابته عبد الرحمن حجي، مرجع سابق، 388.

(1) علي الصلابي : فقه التمكين، مرجع سابق.

(*) ذكر في كتبهم لا بأس عليها ولا خوف، آمنة من جوع ودم، وجدت هذه الكلمات مكتوبة في بعض حجراتها بالقلم الإغريقي، وقد قام ابن عباد بمحاصرتها سنة459هـ ، واستطالت البرابر على قصبتها فعمهم الفقر، الروض المعطار، ص 518.

تولى حماد بن أبي يوسف[2]. ولاية أشير في المغرب الأوسط. وخاض حروباً طويلة مع زيري بن عطية المغراوي شيخ زناتة المغرب الأقصى، وكان النصر لحماد بن يوسف.

وكان لانتصار حماد بن زيري على الزنايتين في المغرب والأوسط وتأمينه حدود الدولة الصنهاجية في ناحية المغرب، أكبر الأثر في تثبيت سلطان بيته في المغرب الأوسط.

أسباب ضعف المسلمين في الأندلس:

أولاً : ضعف العقيدة الإسلامية[3]. والانحراف عن المنهج الرباني. وهذا هو السبب الأساسي.

ثانياً : موالاة النصارى والثقة بهم والتحالف معهم، قال الله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [1].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(طريق الأمة في الولاء والبراء، فقال: أوثق عرا الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله) [2].

بل ضعف مفهوم الولاء والبراء حتى إن بعض الحكام المسلمين استوزروا وزراء نصارى ويهود يصرفون أمور دولة الإسلام، فهل يؤمن الذئب على الغنم.

---

(2) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1992م، ص 160 – 161.

(3) الصلابي ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص 84.

(1) سورة المائدة، الآية : 57.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل : شرح وتحقيق أحمد شاكر، أتمه : د. عبد الحسين عبد المجيد هاشم، دار المعارف، بمصر، الطبعة الأولى، (286/4)..

ثالثاً : الانغماس في الشهوات والركون إلى الدعة والترف وعدم إعداد الأمة للجهاد[3].

إن المؤرخين رأوا بأن الأندلسيين ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم، وناموا في ظل ظليل من الغنى الواسع والحياة العابثة والمجون وما يرضى الأهواء من ألوان الترف الفاجر، فذهبت أخلاقهم كما ماتت فيهم حمية آبائهم البواسل وغدا التهتك والخلاعة، إن شعباً يهوى إلى هذا الدرك من الإنحلال والميوعة لا يستطيع أن يصمد رجاله لحرب أو جهاد.

رابعاً : إلغاء الخلافة الأموية وبداية عهد الطوائف:

لا شك أن بداية الانهيار الفعلي في الأندلس كان بزاول الخلافة الأموية، ونشأ على إثر ذلك عهد السنوات الصعاب، وأصبحت الأمة كما قـــال الشـــــاعـــر:

مما يزهدني في أرض أندلس

أسماء معتمد فيه ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد[1].

خامساً : الاختلاف والتفرق بين المسلمين: [2].

---

(3) انظر : نفخ الطيب، مصدر سابق، ج4، ص 273 – 274.

(1) ناصر العمر، سقوط الأندلس : مؤسسة المؤتمن ، دار الوطن، ط1، 1412هـ، ص 31..

(2) سقوط الأندلس: مرجع سابق، ص 35.

كان الاختلاف سمة من سمات عصر الطوائف، وكان بعضهم يستهدي النصارى على إخوانه ويعقدون مع النصارى عهوداً وأحلافاً ضد أخوانهم في العقيدة .

سادساً : تخلي بعض العلماء عن القيام بواجباتهم[3]:

وبعض هؤلاء هم ممن قال فيهم ابن حزم رحمه الله :(ولا يغرنك الفساق والمنتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المذينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم).

سابعاً : عدم سماع ملوك الطوائف لنصائح العلماء: [4]

لقد بذل مجموعة من العلماء جهداً مشكوراً لتوحيد صفوف المسلمين، وتصدى أبو الوليد الباجي لهذه المهمـــة بنفسه بد عودته من المشـــرق الإســـلامي. لم يكن حكام الأندلس أهـــلاً لقيادة الأمة.

ثامناً : استطاع النصارى أن يضعوا برامج محكمة للقضاء على ملوك الطوائف.

تاسعاً : وحدة كلمة النصارى:

في الوقت الذي كان المسلمون في الأندلس يعانون من التفرق والشتات، كان النصارى في وحدة كلمة وتراص صف في مواجهة أمة الإسلام في الأندلس.

عاشراً : غدر النصارى ونقضهم للعهود:

لم يكن النصارى أهلاً للوفاء إلا القليل القادر منهم، فهم تبع لمصالحهم[1].

---

(3) فقه التمكين : الصلابي مرجع سابق، ص 72.
انظر : مجموع رسائل بن حزم، مجموع رسائل بن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م، ج173/3.

(4) ابن بسام أبي الحسين علي البشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (شنترين ـ قرطبة 542هـ، القسم الثاني مخطوط المتحف العراقي، بغداد رقم 1587.
تحقيق عبد المجيد العبادي وعبد الوهاب عزام، القسم2، ص 95.

قال الله تعالى :(لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ)[2].

المبحث الثاني

الصراع بين طليطلة وقرطبة

كيف بدأ عصر الطوائف:

كان يتولى معظم ولايات الأندلس نفر من بني عامر أو من أعضاء الحزب العامري. وفي هذه الظروف انعدمت السلطة المركزية تقريباً، اضطر أولئك الولاة إلى الانفراد بولاياتهم ريثما تنجلى الأمور في قرطبة، لكن الأمور لم تنجل عن نتيجة

(1) على محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 89 – 90.

(2) سورة التوبة ، الآية: 10.

واضحة، وتعاقب على عرش بني أمية عدد من الخلفاء الأمويين الصغار، وكان القرطبيون يحاولون أن يؤيدوا أولئك الخلفاء بزعامة رئيسهم أبي الحزم بن جهــور.

وعندما يأس القرطبيون من العثور على شخصية أموية تستطيع النهوض بالمسؤولية، اجتمع كبار قرطبة في ذي العقدة 422هــ، نوفمبر 1031م، وتشاوروا في الأمر ثم استقر رأيهم على إلغاء الخلافة الأموية وعزلوا آخر بني أمية وهو هشام الثالث الملقب بالمعتد وأخرجوه في 12 ذي القعدة 422هــ ، نوفمبر 1031م.

وبذلك انتهت خلافة بني أمية الأندلسيــة[1].

في قرطبة اتضحت الأمور وانجلت عن تفرد عبد الملك بن أبي الوليد بن جهور بالسلطة وسحقه لكل أعدائه، وذلك بتخلصه من سيطرة ونفوذ ابن السقاء وزير أبيه، والذي ذهب ضحية أطماعه وتطلعاته، وبتخلصه أيضاً من سيطرة ونفوذ شقيقه عبد الرحمن، ولقد لعب المعتضد والد المعتمد دوراً مهماً في الوصول إلى هذه النتيجة، إذ انتهز ظهور التنافس الشديد بين وزير الدولة الجهورية وعبد الملك بن الوليد بن جهور. فاستقل ذلك التنافس بين الرجلين وبدأ ينصب الدسائس لهما حتى تمكن من إيقاع الوقيعة بينهما[2] .

وقد أدى ضعف قرطبة إلى تطلع ملوك الطوائف للاستيلاء عليها. فقد غدت مهيضة الجناح ضعيفة الشأن بل أصبحت تدور في فلك مملكة أشبيلية[1].

عندما تولى المأمون يحيى بن ذي النون عام 1043م، أمارة طليطلة اغتنم عون حليفة القوى عبد العزيز بن أبي عامر، واستأجر الفرسان النصارى من القشتاليين ليبطش بحمد بن جهور أمير قرطبة، فتدخل بنو عباد أصحاب إشبيلية،

---

(1) حسين مؤنس: معالم تاريخ الحرب والأندلس، القاهرة، دار الرشاد، ص 415.

(2) يوسف بن أحمد حوالة : بنو عباد في أشبلية، دراسة سياسة وحضارة، 414 - 484هـ - 1023 - 1091م، ط1، 1989م، ص 193.

(1) ابو الحسن ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.
تحقيق : عبد الملك العبادي، وعبد الوهاب عزام، القاهرة 1358هـ - 1361م، ص: 123 - 124.

وبنوا الأفطس أصحاب بطليموس(*) للوقوف ضد صاحب طليطلة الذي كان يهددهم جميعاً، وسار أمير لبلة وولبه(*) وجزيرة شليطش للانضمـــام إلى الحلــف الذي تزعمـــه صاحـــــب لبلـــه عبد العزيـــز البحصبي ليعقد محالفة مع قرطبـــة[2].

تحرك الجميع لإنجاد قرطبة، فانتهز ابن عباد أمير اشبيلية هذه الفرصة واكتفى بإرسال خمسمائة فارس إلى ابن جهور، وزحف في جيش قوي على لبله وولبه وجزيرة شليطش واكسونية واستولى عليها، ثم افتتح قرمونة سنة 1053م طالت الحرب بين طليطلة وقرطبة ودامت أعواماً وكانت سجالاً، وأراد المأمون صاحب طليطلة حسم الموقف، فأوقع بقوات قرطبة وحليفاتها هزيمة شديدة واستطاع الوصول إلى قرطبة فحاصرها، فبادرت أشبيلية إلى إغاثتها، فأرسل ابن عباد ابنه محمد على رأس جيش قوي فيه وزيره أبوبكر محمد بن عمار الموصوف بذكائه وزودوهم بخطة سرية خاصة.

واستطاع جيش ابن عباد أن يفك الحصار عن قرطبة وخرج القرطبيون ليطاردوا أعدائهم فأتموا بذلك هزيمة الطليطليين[1].

نفذت خطة ابن عباد السرية وكان محتواها دخول قرطبة عندما يخرج منها أهلها خلف الطليطليين ودخلتها قوات ابن عباد دون معارضة، واحتلت مراكزها الحصينة قبل أن يفطن القرطبيون أن من جاء لنصرتهم غدر بهم وبذلك سقطت دولة

(*) بطليموس: مدينة تقع شمال أشبيلية، شرق يابرا بناها عبد الرحمن بن مروان، المعروف بالجليقي، وهي بقعة جليلة على ضفة نهرها الكبير المسمى بالغور، الذي ينتهي إلى حصن مارتلة، الروض المعطاء، ص 46.

(*) لبلة: مدينة تقع في الجنوب الغربي للأندلس بشمال قرية طريانه، قريبة من إشبيلية، الروض المعطاء، ص 168.

(2) الصلابي : مرجع سابق، ص 63، بنو عباد: مرجع سابق، ص 157.

(1) شوقي خليل، الزلاقة ، مرجع سابق ص 12 – 14.

الصلابي ، مرجع سابق ، ص 63 – 64..

بني جهور في قرطبة ولم يمض على قيامها ثلاثون عاماً في محنة محزنة، وخيانة فظيعة، وأصبح ابن عباد أمير أشبيلية أقوى أمراء الأندلس [2].

تخوف المأمون أمير طليطلة من قوة ابن عباد أمير أشبيلية خاصة بعد أن حالفه العامريون أمراء قسطلون ومريبطر وشاطبة المرية ودانية، فحاول التحالف مع صهره وزوج ابنته عبد الملك المظفر حاكم بلنسية الذي رفض التحالف محتجاً بأن وقوف العامريين إلى جانب أشبيلية يشكل خطراً على بلنسية، فما كان من المأمون إلاّ وأن عقد حلفاً مع فرديناند الأول صاحب قشتالة.

إمارة بلنسية [*].

تقع مملكة بلنسية شرقي الأندس تجاور من طرفها الشمالي مملكة سرقسطة. وكانت من توابـــع طلـــيطلة[1]، وتعـــتبر من أغنى أقاليم شرق الأندلس[2].

---

(2) شوقي خليل : الزلاقة مرجع سابق، ص 14.

الصلابي : فقه التمكين ، مرجع سابق، ص 64.

(*) كان الروم تغلبوا على بلنسية قديماً، ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة 495 هـ، الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق. ص 97.

(1) حسين مؤنس: مرجع سابق، ص 422.

(2) عبد الرحمن حجي: مرجع سابق، ص 266.

وصارت بعد سقوط الخلافة إلى نفر من الصقالبة العامريين، ثم بايع الصقالبة في حكمها حفيداً للمنصور بن أبي عامر يسمى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور سنة 411هـ، 1021م، تلقب بالمنصور وتوفى هذا سنة 452هـ ـ 1061م فخلفه ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر، الذي زوج ابنته ليحي المأمون بن ذي النون، وانتهى الأمر بأن اتحدت الأمارتان وعهد المأمون في حكمها إلى أبي بكر محمد بن عبد العزيز الملقب بابن روبش، حتى إذا استولى الفونسو السادس على طليطلة أخرج ابن روبش هذا وصار الأمر إلى يحي القادر بن ذي النون في حماية فرسانه من النصارى الذين يرأسهم البار هانس[3]، وهو ابن رودر يجو دبيبار الملقب بالسيد القمبيطور[4]، ويسميه العرب صاحب الفحص.

دولة بني ذي النون في طليطلة:

بنو ذي النون أسرة بربرية الأصل قديمة في الأندلس وترجع أخبارها إلى أيام الإمارة، فقد تجمعت أعداد من بربر الهواريين عند بلدة تسمى شنتمرية قرب طليطلة، هناك قامت لهم عزوة وقام لهم عدد، وتحولوا إلى أندلسيين من أصل مغربي وتزاوجـوا إلى الناس وأصهـروا إليهم ونشأت أجيالهم أندلسيـة[1].

---

(3) ابو علي حسن بن أبي الحسن علي بن محمد (ق 7هـ) ، نظم الجمان، تحقيق الدكتور محمود علي مكي، الرباط، ج6، ص 418.

(4) ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (573هـ) الاكتفاء في أخبار الحلفاء، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية ، 1971م، نشر تحت عنوان تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ص 86..

(1) حسين مؤنس : مرجع سابق، ص 418..

وهجمت القوات المشتركة المتحالفة (قوات المأمون وفرديناند الأول) على بلنسية[4]، فسقطت ولاية بلنسية كلها في يد المأمون في تشرين الأول 1065م، عاد بعدها إلى طليطلة ليجهز قواته لقتال بن عباد، وحال بينه وبين ما أراد وفاة ابن فرديناند الأول، ونشوب حرب ضروس بين أولاده، فنقض المأمون عهده مع قشتالة[*]، وامتنع عن دفع الجزية، مما أدى إلى حرمانه من معونة النصاري[2]، وهي المعونة التي لم يستطيع أن يحارب أمير أشبيلية بدونها، فلما تمّ أمر الحكم لسانشو ابن فرديناند سنة 1070م، هرب أخوه الفونسو إلى المامون صاحب طليطلة والتجأ أخوه الثاني جارسيه إلى المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية، وفي سنة 461هـــ ـــ 1069م توفى المعتضد بن عباد أمير أشبيلية[3].

وخلفه ابنه الملقب بالمعتمد على الله ولم يكن أمام الأمير الجديد ما يخشاه إلا أمير طليطلة الذي ملك بلنسية في الوقت نفسه.

عادت الفتنة بين الأخوة أبناء فرديناند إلى أجواء الفترة التي عاشتها أسبانيا النصرانية من حروب أهلية بين الأخوة. حاول سانشو التوسع على حساب إخوته فقد طمع في الاستيلاء على مملكة أخيه الفونسو، ودارت رحى الحرب الأهلية بين الإخوة انتهت باستيلاء سانشو على مملكة أخيه الفونسو، وبالقبض عليه عام 462هـــ ـــ 1071م[1].

---

(2) شوقي خليل : الذلاقة ، مرجع سابق، ص 14..

[*] قشتالة: قشتيلة وترسم قشتالة، وربما رسمت قشتلة ، ويحددها الحميري قائلاً : ما خلف الجبل المسمى الشارات، شمال طليطلة وجنوب شقوبية ، من جهة الجنوب يسمى اشبانيا، وما خلفه من جهة الشمال يسمى قشتالة، ويفصل بين أجزائها نهر دويرو ، الروض المعطار، ص 161.

(3) الصلابي : فقه التمكين، مرجع سابق، ص 64.

(4) عبد الرحمن حجي: التاريخ الإسلامي الأندلسي، مرجع سابق، ص 330..

(1) ابو علي حسن بن أبي الحسن علي بن محمد ، نظم الجمان، تحقيق الدكتور محمود علي مكي، الرباط، ج6، ص 418.

ثم سعت شقيقته أوراكا للإفراج عنه مقابل أن يصرف الفونسو نظره عن الاشتغال بالسياسة، وأن يلبس لباس الرهبان، وفر الفونسو بمساعدة أوراكا أيضاً والتجأ إلى بلاط ملك طليطلة، ولملكها المأمون بن ذي النون.

كما حاول سانشو الاعتداء على أراضي أخيه غارسيا ملك جليقية واستطاع بعد حروب ومطاحنات عسكرية أن يقضي على نفوذه ويستولى على مملكته، مما جعل أخوه غارسيا يفر إلى بلاط المعتمد، وبعد ذلك حاول سانشو الاستيلاء على أملاك شقيقته أوراكا والبيرة ولكنه قتل تحت أسوار عاصمة مملكة أختته(2).

وبعد قتله أجتمع الأشراف وكونتات فاستدعوا الفونسو لتولي الحكم مكان أخيه شانجة المقتول (3).

استطاع المأمون حاكم طليطلة أن يتوسع ويحقق انتصارات واسعة سنة 1073م على مرسية وأريولة وعدة مدن أخرى، وبهذا أصبح الأمير الأقوى الذي سيطر على أواسط أسبانيا كلها، خاصة بعد أن فاز الفونسو بحكم فشتالة بعد وفاة (شانجة) وتحالف مع المأمون الذي رعاه وحماه عند محنته وتعاهد الأميران على أن يرتبطا معاً برباط الصداقة الوثيق(4).

أصبح أمير إشبيلية في خوف من توسع أمير طليطلة وبنى الأفطس أصحاب بطليموس، هاجم خصمه من ثلاث جهات لكي يحكم تسديد الضربة إلى قرطبة، فسقطت دون مقاومة تذكر سنة 468هـ ولكن المأمون توفى بعد دخولها بأيام قلائل، فرجع جنده عنها إلى طليطلة، واسترد ابن عباد قرطبة.

---

(2) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، الطبعة الثانية، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، ص 389 – 392..

(3) عبد الرحمن حجي، التاريخ الأندلسي، مرجع سابق، ص 330.

(4) ابن الكرديوس : مصدر سابق. ص 75 - 76. ابن عزارى، البيان المغرب: ج3، ص 232.
عبد الرحمن حجي: تاريخ الأندلس ، مصدر سابق ،ص 330.

بعد وفاة المأمون بن ذي النون 467هـ ــ 1075م، خلفه حفيده الملقب بالقادر في حكم طليطلة[1].

استيلاء المعتمد بالله على قرطبة:

غدت مملكة قرطبة مهيضة الجناح، ضعيفة الشأن تدور في فلك إشبيلية وتحتمي بحماها، وعندما اشتد ضغط المأمون على المدينة بعث عبد الملك إلى المعتمد بن عباد يستغيثه ويستنجد به وقد لبى المعتمد الطلب بسرعة، وجهز جيشاً قوامه 1300 فارس بقيادة خلف بن شجاع، ومحمد بن مرتين، وتوجه هذا الجيش إلى قرطبة وعسكر بالجهة الشرقية منها.

ومن الطبيعي أن يستشعر المأمون الخطر، إذ أدرك أنه سيقع بين فكي الرحى بين القوات القرطبية التي ستخرج لمهاجمته. والقوات الإشبيلية المساندة لها ولهذا فقد اضطر إلى رفع حصاره عن المدينة. وقد وقعت هذه الأحداث في السنة الثانية من وفاة المعتضد بالله .

أثر هذا الموقف النبيل من جانب المعتمد في نفس عبد الملك بن جهور، مما جعله يلهث بالشكر له. وتهيأ لتوديع الجيش وداعاً يليق به. غير أنه لم يرع إلا ورجال المعتمد يقتحمون أبواب قرطبة ويمتلكونها، ويدخل على أثرهم الجيش، استطاع المعتمد ورجاله أن يحكموا قبضتهم على المدينة، وأن يحيطوا بقصر الحكم الذي اعتصم به عبد الملك ورجاله الخلص.

كما احتمى الشيخ أبو الوليد بن جهور بالمسجد مع حريمه وبناته. وقد استبسل عبد الملك في الدفاع والمقاومة، ولكن قوات الجيش وجماعة كبيرة من الرعاع والسوقة

---

(1) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام القسم الثاني، نشر ليفي بروفنسال، بيروت، 1956م، ص 176 – 179.

استطاعت اقتحام القصر وانتهابه.. فاضطر أخيراً إلى طلب الأمان. وهكذا سقطت قرطبة في يد العباديين[1].

واعتقــل عبــد الملك وأخــوه عبد الرحمن وارسلا مخفورين إلى إشبيلية[2]. أما الشيخ الوليد فلم تحفظ له كرامة، رغم مرضه الشديد.

كانت قرطبة هدف العباديين للاستيلاء على مركز الخلافة الروحي ودائرة الاستقطاب الثقافي والعلمي خاصة وأن الخليفة هشام كما يدعون لا زلال بينهم، ويعتبرون إقامته في إشبيلية إقامة مؤقتة، فمكانه الطبيعي هو عاصمة آبائـــــه وأجــداده[3].

كان عبد الملك بن أبي الوليد بن جهور يرى أن خطر مملكة إشبيلية على مملكته لا يقل بأي حال عن خطر مملكة طليطلة عليها، ومع ذلك فقد اختار أهون الشرين وهو الانطواء تحت حكم إشبيلية.

وقد ولى المعتمد ابنه سراج الدولة عباد حكم مدينة قرطبة على أن يساعده في تدبير أمورها قائده ابن مرتين[4].

خروج قرطبـة عن سلطة بني عباد:

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 257 - 258.
(2) أعمال الأعلام : ابن الخطيب ، مصدر سابق، ص 149 - 151.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 259 – 260..
(4) عبد الواحد المراكشي : المعجب، مصدر سابق، ص 189 - 190.

كان ابن المعتمد الملقب بسراج الدولة وقتها يافعاً لم يتعد طور المراهقة بعد. وكان من الطبيعي أن يسعى لاستئناف حياة اللهو والدعة والرفاهية التي كان أبوه وأترابه يحيونها في بلاط إشبيلية، ولم يكن قائد الجيش الوزير بن مرتين بأحسن حال من أميره الفتى[1].

استمر احتلال بني عباد لقرطبة من عام (462هـ ـ467هـ / 1070م ـ 1075م) وكانت هذه الفترة سانحة عظيمة للمأمون بن ذي النون لحبك المؤامرات والحيل للانتقام من المجاهدين والظفر بقرطبة. لذا فقد استمال إليه رجلاً يدعى حكيم بن عكاشة، وكان يلي بعض الحصون المجاورة لقرطبة من قبل المأمون، وابن عكاشة كان من أتباع الوزير بن السقاء وعندما قتل بن السقا فر ابن عكاشة إلى طليطلة[2] ولجأ إلى المأمون.

استكمل ابن عكاشة وضع الخطة وتحددت ساعة التنفيذ واقتحم برجاله المدينة ليلاً وقام بمقتل الأمير سراج الدولة عباد وقائده بن مرتين تادى ابن عكاشة بالطاعة لابن ذي النون، وبعث ابن عكاشة برأس ابن المعتمـد إلى المأمـون في بلنسـية[3].

عودة قرطبة إلى حظيرة الدولة العبادية ثانية:

أخذ المعتمد يعد العدة لاسترجاع قرطبة والثأر لولده وكرامته في نفس الوقت. أما المأمون فإنه لم ينعم طويلاً بالتربع على عرش قرطبة إذ ما لبث أن اعتل بقرطبة وتوفى فيها لاثني عشر ليلة بقيت من ذي القعدة سنة 467هـ.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ - 1260م) الحلة السيراء، جزءان نشر حسين مؤنس ، القاهرة، 1963م، ج2، ص 176 - 177.

(2) بنو عباد : مرجع سابق، ص 202.

(3) ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، مصدر سابق، ص 151.

يقول ابن خلدون [1]: (أنه مات مسموماً) ولا نستبعد أ، يكون ذلك قد تمّ بتدبير من ابن عكاشة فقد لمس أثر ذلك في نفس المأمون ونظراته له. فأعجل بالتدبير عليه[2].

أعلن ابن عكاشة تبعيته ليحي ابن إسماعيل بن المأمون الملقب بالقادر حفيد المأمون، وخليفته من بعده[3].

يبدو أن أهواء أهل قرطبة تميل إلى الانطواء تحت سيطرة العباديين رمز الارستقراطية الأندلسية، بل لنقل رمز العنصر العربي كله في وجه البربر. فليس خافياً أن بني ذي النون وإن كانوا قد تعربوا إلاّ أنهم يعودون لأصل بربري، ولهذا فقد جهز المعتمد جيشاً توجه إلى قرطبة بعد موت المأمون المفاجئ واستطاع بمساعدة أهلها أن يقتحم المدينة ويحتلها[4].

وقد حاول ابن عكاشة الفرار، إلاّ أن رجال المعتمد قبضوا عليه وجيء به إلى المعتمد فقتل وصلب مع كلب إمعاناً في التشفي والتنكيل[5]. وعهد المعتمد بأمر قرطبة لأبنه المأمون الملقب بالفتح[6].

---

(1) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، 1958م، مؤسسة جمال، بيروت، ج4، ص 343 - 344..

(2) ليفي بر وفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية: راجعه الدكتور لطفي، 1990م، ص 129.

(3) ابن الآبار: الحلة السيرا: مصدر سابق، ج2، ص 176 - 177.

(4) بنو عباد في إشبيلية : مرجع سابق، ص 204 - 205.

(5) المعجب، مصدر سابق، ص 189 - 190. أعمال الأعلام: مصدر سابق، ص 159.

(6) ابن خلدون: العبر ، مصدر سابق، ص 343 - 344.

المبحث الثالث

المعتمد بن عباد وأطماع الفونسو التوسعية

تولى المعتمد زمام الحكم فور إعلان وفاة أبيه المعتضد عام 461هـ ـــ 1069م، وقد كانت غداة توليه للسلطة تسعاً وعشرين سنة وشهرين وبضعة أيام[1].

يقول ابن خلكان : إنه أقوى ملوك الأندلس وأعظمهم تمادا وأرفعهم عمـــــاداً[2].

ويقول المقري : أنه كان جم الأدب وعالي النظم وذكر من أوصافه ما لا يبلغ من كثرته إلا أنصافه (ملك مجيد وأديب وعلى الحقيقة مجيد، وهمام تحل به للملك لبه، وللنظم جيد، أفنى الطغاة بسيفه) [3].

يقول عبد الواحد المراكشي[4] (ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد إسماعيل بن عباد، وزاد المعتمد على الله، الظافر بحول الله، وكان المعتمد هذا يشبه بهارون الواثق بالله من ملوك بني العباس، إذكاء نفس وغزارة أدب، وكان شعره كأنه الحلل المنثورة، اجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس، وكان مقتصراً من العلوم على علم الأدب وما يتعلق به، وينضم إليه، وكان فيه مع هذا الفضائل الذاتية ما لا يحصى كالشجاعة، والسخاء والحياء، والنزاهة إلى ما يناسب هذه الأخلاق الشريفة).

---

(1) ابن الآبار: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 53 - 54..

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مجلد 5، ص 21..

(3) أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب، حققه الدكتور: إحسان عباسن ، دار صادر، بيروت: ج5، ص 376.

(4) المراكشي : المعجب، ص 185.

ويبالغ المراكشي[1] في إشادته به فيقول (وفي الحقيقة فلا علم خصلة تحمد في رجل إلاّ وقد وهبه الله منها أوفر قسم وضرب له فيها بأوفى سهم وإذا عدت حسنات الأندلس من لدن فتحها وإلى هذا الوقت، فالمعتمد هذا أحداها بـــل أكبرها).

يقول بن خلكان[2]. (أقوى ملوك الأندلس راحة وأحبهم سماحة وأعظمهم تمادا، وأرفعهم عمادا، ولذلك فقد كانت حضرته ملقى الرجال، موسم الشعر للشعراء وقبلة الآمال، وألف العقلاء حتى لم يجتمع ببيان أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء والأفاضل الأدباء كما كان يجتمع ببيانه وتشتمل عليه حاشية جنابه).

وقال المقري[3] (قال الفقيه القاضي أبوبكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بني عباد وقد ذكر الناس من أوصافه ما لم يبلغ مع كثرته إلا إنصافه).

يشير ابن الخطيب[4] بفروسيته وشجاعته كما يشيد بسيرته الحســنة السمحــة أيضاً.

أما فيما يتعلق بحياته الشخصية فقد تزوج المعتمد باعتماد الملقبة بالرميكية. فقد التــقى بها في إشبيــلية ولقــد هام بها المعتمد حباً وكلف بها كلفــاً شديــداً[5].

(1) المراكشي : نفس المصدر السابق، ص 185..
(2) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 7 أجزاء، تحقيق : د. إحسان عباس، بيروت، 1968م، ج5، ص 21.
(3) المقري : نفح الطيب ، مصدر سابق، ج5، ص 377.
(4) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، المجلد الثاني، القاهرة: 1974م، ص 21.
(5) ابن الآبار : مصدر سابق، ج2، ص 61 – 63.

شاطرت المعتمد أيام أنسه وهنائه، كما شاركتـــه منفـــاه إلى المغرب. ولم يكن يرفض لها طلباً مهما عز وغلا [1].

أطمـاع الفونسـو التوسعيـة:

بدأت حركة الاسترداد في عهد فردناند تتخذ صفـــة دولية، وبدأ المسيحيون في كافة جهات أوروبا ينظرون لها على أنها جهاد مقدس، ويبدو أن سياسة التقرب في الكنيسة الرومانية أثمرت ، قد اتخذ فردناد لنفسه لقب إمبراطور كتأكيد لسيادته على أسبانيا المسيحية، كما كان يريد في الواقع أن ينافس هنري الثالث إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة. كان فرديناند يريد ألا يلعب دوراً محلياً صرفاً إنما دوراً عالمياً ويبسط نفوذه على غرب أوروبا كله إن استطـــاع إلى ذلك سبيـــلا.

يقول ابن عذارى [2]: صاحب البيان أنه قال :(إنما تطلب بلادنا التي غلبتونا عليها قديماً في أول أمركم قد سكنتموها ما قضى لكم، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم، فأرحلوا إلى عدوتكم وأتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكنكم معنا بعد اليوم ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم).

كان يعمل[3] على بث الذعر في قلوب المسلمين، فلا يترك لهم فرصة يتنسمون فيها نسيم الراحة، أو يذوقون طعم الطمأنينة، كان يريد أن تظل القوى الإسلامية مجندة تجنيداً مستمراً حتى على الأمراء ويثقل على الناس حتى إذا ضاق الأمراء المسلمون ذرعاً وخافوا بطش زعيم النصرانية، اضطروا إلى دفع الجزية والاستعانة بالأموال لدفع خطر الفرنجة وقد دفع الجزية حاكم طليطلة وإشبيلية وبطليموس وسرقسطة واشتط فردناند في طلب الجزية وكان إذا آنس من الأمراء

---

(1) فيليب حتى د. أدورد جرجي ، د. جبرائيل جيوب، تاريخ العرب، الجزء الثاني، ط4، 1965م، ص 641 - 642.

(2) أبو عبد الله محمد المراكشي بن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس، 1948م، ص 281..

(3) ابن عذارى : مصدر سابق، ج3، ص 238.

المسلمين ضعفاً مضى في توسعة لا يلوى على شيء، فقد هاجمت قواته قلمرية واستولت عليها وانصرف صوب الشرق وهاجم سرقسطة ثم انحدر نحو الجنوب فحاصر طليطلة، بل هاجم إشبيلية وحاصر بلنسية[1].

لم يكن في مقدور القوى النصرانية أن تحاصر هذه القلاع والحصون، أو أن تقتحمها دفعة واحدة، لذلك كان من أهداف الفونسو أن لا يعرض جنده لخسائر فادحة بمصارعة الحصون ومحاولة اقتحامها، إنما كان يرمي إلى استنزاف دماء الأمارات الإسلامية بأن يشهر عليها سلاح الإرهاب ويضطرها إلى دفع الجزية، ويضاعف مقدار هذه الجزية عاماً بعد عام حتى إذا عجزوا عن الدفع ضرب عليهم الحصار، وأرغمهم على قبول شروطه إرغاماً[2].

سقوط طليطلة:

في سنة 1079م أعلن الفونسو الحرب على طليطلة التي حمته من مطاردة أخيه سانشو، وعلى الرغم من أنه كان لا يزال إلى تلك الآونة يرتبط ببني ذي النون بروابط الصداقة فقد نسى الأمير الظامئ إلى التوسع كل ما يفرضه العرفان بالجميل والصداقة وما تفرضه العهود واستعان بمعرفته لنواحي طليطلة أيام إقامته منفياً بها على الغدر بأولئك الذي أولوه حمايتهم ورعايتهم[3].

(1) يوسف أشياخ، مرجع سابق: ج1، ص 20.
ابن عذارى : مصدر سابق، ص 238.

(2) أعمال الاعلام : مصدر سابق، ص 277.

(3) شوقي خليل : الزلاقة ، مرجع سابق، ص 17.

لم يكن سقوط طليطلة بيد الفونسو عملاً بسيطاً، ثم أثر معركة، وإنما عملا مخططاً وعلى مدى طويل نسبياً استغل فيه الفونسو الصراع الداخلي الحاد لكي يتمكن من قهر المدينة الكبيرة الحصينة[1].

بدأت آثار الانقسام الداخلي تحتدم أثر مقتل أبي بكر الحديدي بتآمر بين القادر والزعماء الطليطليين المسجونين من قبل جده الذي اعتبرهم أعداء حكم سلالته، وبعد التخلص من الحديدي رفعا راية التمرد، ورأى القادر نفسه عاجزاً عن مجابهتهم فاتصل بالفونسو لتقديم العون واشترط الفونسو، مالا لم يتمكن القادر من تأمينه لعجزه عن جبايته من الناس، ففر من المدينة كما رأينا، وقصد حصن وبزة فأغلقت أبوابه في وجهه، ووجد ملجأه أخيراً في قلعة قونقة، حيث بنو الفرج أعوان السلالة منذ أمد.

عندما وصل القادر بن ذي النون هذا الوضع من الضعف، قبل الفونسو الاتفاق معه. وتمّ الاتفاق على أن يقوم بحصار المدينة حتى يخرج ابن الأفطس ويسلم القادر للفونسو حصني سرية وقوريه[2].

ضرب الحصار على المدينة وأدرك ابن الأفطس عجزه عن حمياتها فهرب منها ودخلها القادر يوم النحر عام 474هـ ــ 1082م، وقام زعماء طليطلة المعادون له يجابهونه في شوارع المدينة وعندما عجزوا، حاولوا شراء دعم الفونسو، لكن هذا بقى ثابتاً على دعم تابعه.

استقر المقام بالقادر في طليطلة، صرف همه لجمع المال وتقديمه للفونسو. لكن كل ما جمعه من الناس بالضغط والقهر لم يرض الملك الأسباني.

---

(1) د. أحمد بدر : تاريخ الأندلس. التجزؤ ـ السيادة المغربية، السقوط والتأثير الحضاري، 1983م، ص 214.

(2) أحمد بدر : مرجع سابق، ص 214 - 215.

اقتنع القادر بعجزه عن دفع خطر الأعداء في الداخل والخارج، فاتفق مع الفونسو سراً على المجيء لأخذ المدينة وتعويضه عنها ببلنسية، وتقدم الفونسو يحاصر المدينة من بعيد، ويقطع عنها الإمدادات والاتصالات في كل جهة، وأن يغير على نواحيها ليفسد مزروعاتها، ثم انتقل في أوائل عام 477هـ خريف 1084م،[1] إلى منية أو جنة السلطان التي كان المأمون يتباهى بها وبحسنها، قاوم أهل المدينة الحصار قرابة عام[2]. لكن أتباع الملك من ملوك الطوائف قدموا ما عليهم من مؤن وأغذية، حتى تمكن من متابعة الحصار فسقطت المدينة، حاول وجهاء المدينة طلب الهدنة، ريثما يطلبوا العون من ملوك الطوائف الآخرين، وعندما قدم لهم الدليل الملموس عل أن هؤلاء هم أتباعه، أسقط في يدهم وسلمت له المدينة بعد ثلاثة أيام من الحادث. ودخلها يوم 27 محرم سنة 478هـ ـ 20 مارس 1085م، ونقل الملك القادر إلى مقر القيادة العسكرية الأسبانية (المحلة) بينما نال المحاصرون شروطاً للإستسلام[3].

قال ابن خلكان [4] إن طليطلة أخذت يوم الثلاثـاء مستهل صفر سنة 478هـ ـ بعد حصار شديد.

قال المقري[5]:

قال بعض المؤرخين أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين.

---

(1) نفح الطيب، مصدر سابق، ص 352 - 353.

(3) شوقي خليل، الزلاقة، ص 19..

(4) ابن الكردبوس: الاكتفاء ، مصدر سابق، ص 81. 85.

(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج4، ص 118..

(6) المقري : نفح الطيب، ج2، ص 352.

أحدث سقوط طليطلة دوياً هائلاً في العالم الإسلامي الغربي وبات المسلمون في حال من الضياع التام [1].

رأى الفونسو أن زمام الأندلس أصبح في يده فضاعف غاراته على جميع البلاد وتساقطت المدن والقرى بين يدي اللعين الحقود، وأرسل إلى المتوكل بن الأفطس صاحب بطليموس يطلب إليه تسليم بعض الحصون والقلاع المتاخمة لحدوده مع تأدية الجزية ويتوعده بشر العواقب إذا رفض، فرد عليه المتوكل بشجاعة ونبل معلناً تحدياً له[2]. ورد على ملك قشتالة برسالة قوية تدل على الشجاعة والإباء.

الفونسو والمعتمد بن عباد[3]:

لقد وقع المعتمد بن عباد في أخطاء كثيرة، حيث تعاهد مع الفونسو ضد إخوانه المسلمين في طليطلة مقابل أن يسمح له الفونسو بأخذ ممالك ممن حوله إلاّ أن النصارى كما عهدناهم لا عهود لهم ولا مواثيق، فأراد الفونسو أن يجد مبرراً لضرب الحصار على إشبيلية، واحتلال قرطبة، فطلب من المعتمد حصوناً وقرى الموت أحب إليه من تسليمها، ومارس مع المعتمد أنواعاً من الإذلال والتجني لتخرج المعتمد عن طوره ويلغي الاتفاقية الهزيلة بين الطرفين ويجد الفونسو والنصارى ما يبرر أفعاله الانتقامية والوحشية.

---

(1) علي الصلابي، فقه التمكين، مرجع سابق، ص 77.

(2) مجهول : الحلل الموشية في ذكر االأخبار المراكشية، تونس 1329هـ ، ص 20 – 23.

(3) علي الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص 96.

قال ابن الأثير في الكامل [1]: (فلما تملك الأدفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة المعتادة، فلم يقبلها منه، وأرسل إليه يهدده ويتوعده بالمسير إلى قرطبة ليفتحها، إلا أن يسلم إليه جميع الحصون المنيعة ويبقى رسول للمسلمين، وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسمائة فارس، فأنزل المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره، ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفر، وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه، وسلم من الجماعة ثلاث نفر فعادوا إلى الأدفونش وأخبروه الخبر، وكان متوجهاً إلى قرطبة لحصارها فرجع إلى طليطلة لجمع آلات الحصار ويكثر العدد).

وأمعن الفونسو في التجني حين طلب من المعتمد أن يسمح في دخول إمرأته القمطجية أن تلد في جامع قرطبة بناء على نصيحة القسيسون والأساقفة لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمه عندهم عمل عليه المسلمون الجامع الأعظم، وسأل أن تنزل إمرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة ، وهي التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله، وأمعن في بناءها، وأغرى في حسنها وجلب إليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والأقطار.

وقد تجرأ السفير اليهودي ابن ساليب وقل أدبه وخرج عن العرف الدبلوماسي وأغلظ في القول للمعتمد وقال :(لا تعتقدوني بسيطاً لأقبل مثل هذه العملة المزيفة لا آخذ إلاّ الذهب الصافي والسنة القادمة ستكون مدناً)[2].

بلغ الأدفونش ما صنع ابن عباد فأقسم بآلهته ليغذونه بإشبيلية، ويحاصره في قصره فجرد جيش جعل على إحداها كلباً من مساعير كلابه وأمره أن يسير على

---

(1) عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجوزي، الكامل في التاريخ، بيروت : 1965 - 1967م، ج10، ص 142.

(2) المقري : نفح الطيب ، مصدر سابق، ص 357.

كورة باجة من غرب الأندلس ويغير على تلك التخوم والجهات ثم يمر على لبلة إلى إشبيلية، وجعل موعده إياه طريانة للاجتماع معه، ثم زحف الأدفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم، فسلك طريق غير الطريق التي سلكها الآخر، وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر. حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الأعظم قبالة قصر ابن عباد[1].

لقد كانت روما تقف بكل ما تملك من قوة معنوية ومادية خلف الفونسو وجنوده للقضاء على المسلمين وأسبغوا على قتال المسلمين صفـــة الحـــروب الصليبية[2] وأصبح البابوات لهم دور كبير في توجيهها.

ندم المعتمد بن عباد على فعلته عندما رأى الفونسو يتوسع لضم ممالك المسلمين إليه.

اجتمع أمراء المسلمين على أن يضعوا حداً لفتوح الفونسو، وإن كانت قواتهم مجتمعة لا تكفي لرد عدوانه فقد اتفقت كلمتهم على الاستنجاد بالمرابطين في إفريقيا واستدعائهم إلى الأندلس.

---

(1) المقري: نفح الطيب، مصدر سابق، 358.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان : مصدر سابق، ج 17، ص 114.

الفصل الثالث

المرابطون ودفاعاتهم عن مسلمي الأندلس

المبحث الأول: الجواز الأول ليوسف بن تاشفين للأندلس

المبحث الثاني: موقعة الزلاقــة

المبحث الثالث : الأندلس بعد الزلاقة

المب ن

الجواز الأول ليوسف بن تاشفين للأندلس

استدعاء المرابطين للأندلس:

بعد سقوط طليطلة عقد في قرطبة اجتماع حضره الزعماء والفقهاء وكثير من الناس، منهم المعتمد بن عباد، اتخذ فيه قرار الموافقة على استدعاء المرابطين إلى الأندلس للنصرة. وأشير خلاله إلى التخوف من نتائج ذلك فأجاب المعتمد بكلمته السائدة مثلاً :(رعي الجمال خير من رعي الخنازير) أي كونه مملوكاً لابن تاشفين أسيراً يرعى جماله في الصحراء، خير من كونه مملوكاً لابن فردناند أسيراً يرعى خنازيره في قشتالة[1].

يذكر ابن الخطيب[2]:(أن المعتمد بن عباد خاطب يوسف بن ناشفين غرة جمادي الأولى من سنة 478هـ ـ يستأذنه في القدوم عليه لتقرير أحوال الأندلس، يعني أن هذا الاستدعاء تمّ بعد ثلاثة شهور من سقوط طليطلة).

إن فكرة استدعاء المرابطين كانت لدى المعتمد بن عباد وغيره قبل سقوط طليطلة بمدة، فأخرجها سقوط طليطلة للتنفيذ حيث أرسل المعتمد بن عباد وفداً إلى

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصفهاجي الحميري (سنة 710هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م، ص 85.

(2) أعمال الأعلام: مصدر سابق، ج2، 245. ابن خلكان ، وفيات الأعيان : مصدر سابق، ج7، ص 115. ابن عذارى ، البيان المغُرب: مصدر سابق، ج4، ص 114.

يوسف بن تاشفين في العدوة المغربية، وتزيد بعض المصادر أن المعتمد ذهب بنفسه إلى المغرب والتقى بأمير المسلمين المرابطين في سبتة أو فاس[3].

نجد صريخ أهل الأندلس ووفوداً منهم سبقت هذه السفارة إلى يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس، مستعطفين، مجهشين بالبكاء، ناشدين الله والإسلام، مستنجدين بفقهاء حضرته، ووزراء دولته فيستمع إليهم، ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم[1].

كان ابن تاشفين يعد العدة لنجدة أهلهـا ونص بن الآبار يـدل علـى ذلك.

يقول ابن الأبار :(واذدلف خلال ذلك إلى سبتة أمير المغرب حينئذ ــ أبو يعقوب يوسف بن تاشفين المتوني ــ حسبةً ورغبة في الجهاد، وقد دانت له بلاد العدوة، وسأل من سقوت بن محمد صاحب سبتة أن يبيح له فرض الإجازة إلى الأندلس. فأبى وتمنع من ذلك، فأفتى الفقهاء بقتله لصده عن سبيل الله، فقتل هـو وابنـه).

أورد صاحب الحلل[2] :(الموشية حين الحديث عن دولة المرابطين وأميرها يوسف بن تاشفين، أنه في سنة أربع وسبعين وأربع مئة. وفد عليهم جماعة من الأندلس شكوا إليه ما حل بهم من أعدائهم فوعدهم بمرادهم وإعانتهم).

كان ممن كتب إليه حين ذلك المتوكل على الله بن الأفطس 474هـ، تاريخ كتابة المتوكل إلى أمير المرابطين هي سنة وفاة الوليد بن الباجي، عرف بجهاده في الدعوة.

---

(3) المراكشي ، المعجب : مصدر سابق، ص 190.

(1) ابن الآبار : الحلة السيراء، مصدر سابق، ج2، ص 98..

(2) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تونس 1329، [منسوب لابن الخطيب]. ص 20 – 22.

الروض المعطار : مصدر سابق، ص 86.

يقول القاضي عياض[3] :(عن الباجي أنه : توفى بالمرية سنة أربع وسبعين لسبع عشرة خلت من رجب، وكان جاء إلى المرية سفيراً بين رؤساء الأندلس، يؤلفهم على نصرة الإسلام، ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملوك المغرب المرابطين على ذلك، فتوفى قبل تمام غرضه ــ رحمه الله).

تبنى المتوكل ابن الأفطس دعوة الباجي إلى قضيتين:

1- الدعوة إلى توحيد الأندلس وجمع كلمة ملوكها.

2- الاستعانة بالمرابطين لنصرة الإسلام في الأندلس.

اتخذ المتوكل لها إجراءات، منها الكتابة إلى المرابطين، فدعوة الباجي سابقة لكتابة المتوكل إلى ابن تاشفين، ثم كان الاستمرار في الدعوة حتى جاء سقوط طليطلة عام (478هـ) [1].

اجتماع قرطبة:

أما للضياع المفزع الذي وصلت إليه ممالك الأندلس، اجتمع علماء قرطبة للتشاور فيما يجب عمله لإنقاذ مدينتهم، ووصل رأيهم إلى استدعاء المرابطين.

رأى المعتمد أن هذا الرأي فيه صواب ونفاذ بصيرة، فجد في تقوية جيشه، ورمم الحصون والقلاع، وقرر أن يطلب النجدة من إخوانه المسلمين وتشاور في الأمر مع ابنه الرشيد وزعماء اشبيلية الذين أشاروا عليه بمهادنة الفونس والرضوخ لشروطه، ولكن هذا الرأي لم يجد هوى في نفس المعتمد الذي خلا بابنه الرشيد وكان ولي عهده وقال له : أنا في هذه الأندلس غريب بين بحر مظلم وعدو مجرم، وليس

---

(3) القاضي عياض بن موسى بن عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (سنة 476 - 544هـ)، تحقيق : د. أحمد بكير محمود، بيروت: 1384هـ - 1965م، الجزء الرابع، (المجلد 2) 4 أجزاء، ج 3 – 4، ص 808.

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مصدر سابق، ج2، ص 243 - 245.

لنا ولي ولا ناصر إلاّ الله، وإن إخواننا وجيراننا ملوك الأندلس ليس فيهم نفع، ولا يرجى منهم نصرة، ولا حيلة إن نزل بنا مصاب أو نالنا عدو ثقيل، وهو اللعين اذفونش فقـــد أخذ طليطلة وعادت دار كفر، وها هو قـــد رفع رأســـه إلينـــا[2].

إن نزل علينا طليطلة ما يرفع عنا حتى يأخذ إشبيلية[3] ، ونرى من الرأي أن نبعث إلى هذه الصحراء وملك العدوة، نستدعيه للجواز إلينا ليدفع عنا الكلب اللعين إذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا، فقد قلق لجاؤنا، وتدربت بل تبردت أجنادنا، وبغضتنا العامة والخاصة[1].

فأجابه الرشيد : يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنـــا؟ فقال : أي بني والله لا يسمع عني أبداً أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم عليّ اللعنة من على منابر المسلميـــن كمـــا قامت علـــى غيري[2].

وقال للذين لاموه على هذا الرأي : يا قوم إني في أمري على حالتين، حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من أحدهما، أما اليقين فإني إن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش ففي الممكن أن يفيا لي ويبقيا عليّ ويمكن أن لا يفعلا فهذه حالة شـــك.

أما حالة اليقين فإني إن استندت إلى ابن تاشفين فإني أرضي الله، وإن استندت إلى الأذقونش أسخطت الله تعالى، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شيء أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عـــن لومـــه[3].

الأمير عبد الله بن بلكين[4]. أمير غرناطة الذي شهد هذه الأحداث، واشترك في هذه الوقائع يشير إلى هذا التوجس وهذا الخوف من يوسف فيقول :(وأنس الجميع

---

(2) علي محمد الصلابي : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص 98.
(3) الحميري: الروض المعطار، ص 85.
(1) مجهول : الحلل الموشية: مصدر سابق، ص 31.
(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: مصدر سابق، ص 281.
(3) المقرئ: نفح الطيب، مصدر سابق، ج6، ص 91.
(4) عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري : التبيان، تحقيق ليفي وفنسال. القاهرة: 1955م، نشر بعنوان : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة، ص 339.

ولما يتربص في البلاد ألا يوحش سلاطينها مما يتوقعوه من انحياز رعيتهم إليه فكل من شكا إليه ذلك الوقت من رعيته يقول له : لم نأت لهذا والسلاطين أعلم بما يضعون في بلادهم.

تأثر المرابطون[5] لمصاب إخوانهم في الدين، وعرض أميرهم قضية مسلمي الأندلس على أهل الحل والعقد عنده، وأجمعوا على نصرة دينهم.

وكان وزير يوسف ومستشاره أندلسي الأصل اسمه عبد الرحمن بن أسبط فنصحه بأن يطلب من المعتمد بن عباد الجزيرة الخضراء لكي تكون آمنة لعبور الجيش وخطوط التموين[1]، وقال له: إن الأمر لله تعالى ولكن واجب على كل مسلم نصرة الدين، واقتنع الأمير يوسف برأي وزيره وكتب بن أسبط إلى المعتمد بن عباد كتابه يطلب فيه تسلم الجزيرة الخضراء لكي يكون جوازهم إليه في أيديهم متى شاءوا[2].

أطلع المعتمد ابنه الرشيد على خطاب الأمير فقال له [3]:(يا أبت ألا تنظر إلى ما طلب ؟ فقال له المعتمد يا بني هذا قليل في حق نصرة المسلمين، ثم جمع القاضي والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء للأمير يوسف، وتسليمها له بحضورهم، وكان يحكمها يزيد الراضي بن المعتمد فبعث إليه أمره باخلائها)[4] وتسليمها للمرابطين لتكون رهن بتصرف الأمير يوسف، وبعد موافقة المعتمد تجهز يوسف لتلبية نداء إخوانه في العقيدة وكتب أماناً لأهل الأندلس ألا يتعرض لأحد منهم في

---

(5) مجهول : الحلل الموشية: مصدر سابق، ص 28.
(1) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 245.
(2) سيد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، دار المعارف، 1979م، ص: 635.
(3) سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، 1985م، ص 74.
(4) ابن خلدون : مصدر سابق، ج6، ص 362.
ابن الخطيب : أعمال الاعلام: مصدر سابق، ص 246.

بلده، وقال :(أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين لا يتولى الأمر أحد إلاّ أنا بنفسي) [5].
وأعلن النفير العام في قوات المرابطين.

قضيـة الاستيـلاء على الجزيرة الخضراء:

كثر خوض المؤرخين القدامى في هذا الموضوع، إذ تركوا للخيال والتشكيك مكاناً كبيراً.

أن يوسف بن تاشفين رأى هو ومستشاروه عندما جاءتهم دعوة الأندلسيين للإنقاذ والنجدة، رأوا وهم البعيدون عن تلك البلاد وطبيعتها الحربية والجغرافية أن يتبصروا أمرهم قبل أن يجتازوا إلى بلاد لا يعرفونها، كما رغب ابن تاشفين أيضاً أن يضع يده على ثغر سبتة المطل على الضفة الغربية الأخرى من بحر الزقاق ليسهل عليه الجواز إلى الأندلس[1].

أما مدينة سبتة فقد طلب يوسف بن تاشفين من صاحبها سقوت البرغوطي[2]، أن يسمح بالنزول عنها لأهميتها في مواصلة الجهـــاد فأبى صاحبهـــا ذلك[3].

(5) المراكشي : المعجب ، مصدر سابق، ص 131.
تاريخ المغرب العربي : سيد زغلول، مرجع سابق، ص 630.
(1) يوسف بن أحمد حوالة : بنو عباد في إشبيلية، مرجع سابق، ص 286.
مجهول : الحلل الموشية، مصدر سابق، ص 36 – 38.
(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى.
تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد، الدار البيضاء، 1954م، ص 31-34.
(3) أبن الآبار: مصدر سابق، ج1، ص 51.

أخبر يوسف بن تاشفين ابن عباد فيسر إليه أسطولا بحرياً ضرب عليها الحصار، وسير يوسف بن تاشفين جيشاً برياً حاصرها فلم ينثن صاحبها عن رأيه فأفتى الفقهاء بقتاله، فقوتل ودخل المرابطــون البلــد عنــوة وقتــلوا صاحبهــا[4].

أما مسألة الجزيرة الخضراء فيقال إن الوفد الذي ذهب برئاسة أبي بكر بن زيدون وزير المعتمد، اقترح على يوسف ابن تاشفين أخذ مدينة جبل طارق بدلاً من الجزيرة الخضراء وغير أن يوسف أصر على أخذ الجزيرة الخضراء.

يقول صاحب الحلل الموشية[1]:(أن طلب الجزيرة الخضراء فاجأ العباديين لكن المعتمد الذي بات يشعر بأن نهاية ملكه محققة سواء كانت على يد المرابطين أو على يد الفونسو).

كان الفونسو على علم بتلك الاتصالات بين العدوتين بدليل أنه بعث إلى يوسف بن تاشفين بخطاب مليء بالتهديد والوعيد، يدل على أن الفونسو كان منزعجاً جداً لتلك الاتصالات لخطورتها على موقفه رغم ما يبديه من عدم اكتراث ولا مبالاة[2].

كان الفونسو متجهاً لحصار قرطبة، فلما وصل خبر البعثة أقسم بآلهته ليغزون المعتمد في إشبيلية، وحرك جيوشه نحو غرب الأندلس، فدمر كل القرى والتخوم التي في طريقه نحو إشبيلية، وخرج في جيش من طريق آخر ليدمر ويخرب ويقتل ويسفك

---

(4) مجهول : مفاخر البربر، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، 1934. ص 55 – 57.
ابن خلدون : مصدر سابق، ج6، ص 381 – 382.
(1) الحلل الموشية: مصدر سابق، ص 28 - 31 .
ابن خلدون : مصدر سابق، ج6، ص 381 - 384.
السلاوي : مصدر سابق، ص 31
(2) ابن بسام: الذخيرة، مصدر سابق، م الأول، ص 121.
دولة المرابطين: مصدر سابق، ص 62.

ويسبي حتى وصل إلى جزيرة طريف أقصى جنوب الأندلس على المضيق، وأدخل قوائم فرسه في البحر قائلاً :(هذا آخر بلاد الأندلس قد وطئته) [3].

أرسل إلى الأمير يوسف بن تاشفين :(أما بعد : فلا خفاء على ذي عينين أنك أمير المسلمين، بل الملة الإسلامية، كما أنا أمير الملة النصرانية. ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التخاذل والتواكل، والإهمال للرعية والإخلاد إلى الراحة، وأنا أسومهم الخسف، فأضرب الديار وأهتك الأستار، وأقتل الشبان وآسر الولدان، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم إن أمكنك معرفة هذا. وأنتم تعتقدون أن الله تعالى فرض على واحد منكم عشرة منا، وإن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، ونحن نعتقد أن الله أظفرنا بكم وأعاننا عليكم، ولا تقدرون دفاعاً ولا تستطيعون امتناعاً، وبلغت عنك وأنك في الاحتفال عن نية الاستقبال فلا يدري أكان الجبن يطغى بك أم التكذيب بما أنزل عليك، فإن كنت لا تستطيع الجواز فأبعث إليّ ما عندك من المراكب تجوز إليك، أناظرك في أحب البقاع إليك فإن غلبتني فتلك نعمة جلبت إليك، ونعمة شملت بين يديك، وإن غلبتك كانت لي اليد العليا عليك، واستكملت الإمارة، والله يتم الإرادة) [1].

فكان رد يوسف بن تاشفين له على ظهر الكتاب ذاته (ما ترى لا ما تسمع إن شاء الله تعالى، وأردف :

ولا كتب إلاّ المشرفية والقنا * ولا رسل إلاّ الخميس العرمرم[2].

وعاد الفونسو إلى إشبيلية حيث التقى بجيشه الآخر أمام قصر بن عباد بضفة النهر، وحاصر المدينة ثلاثة أيام، وكتب إلى المعتمد يسأله أن يرسل إليه مروحة لطرد الذباب، ولم يتحمل المعتمد هذه الإهانة فرد :(قرأت كتابك وفهمت خيلاءك

---

(3) ابن بسام: الذخيرة ، مصدر سابق، م الأول، ص 121.
(1) سعدون عباس. دولة المرابطين : مصدر سابق، ص 66 .
الصلابي : فقه التمكين، مرجع سابق، ص 80.
الصلابي : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص 97.
(2) ابن الكردبوس : مصدر سابق، ص 91.

وإعجابك، وسأنظر إليك في مراوح من الجلود المطية تروح منك ولا تروح عليك)[3].

الدوافع التي أذكت رغبة المرابطين في الجهاد:

كان من مظاهر الضعف الذي منى به المسلمون في القرن الخامس الهجري أنهم فقدوا السيادة في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي.

استندت حاجة المسلمين بعد فتح بلاد الشام ومصر إلى ركوب البحر وبناء الأساطيل والاستعانة بالسفن لمدافعة الروم.

فقد وضعوا أيديهم على موانئ هامة وجزر ذات أهمية حربية عظيمة مثل قبرص وردوس وغيرها من الجزر الصغرى المتناثرة في حوض البحر الأبيض المتوسط واضطر العرب أن يتخذوا الأهبة لرد عادية الأسطول البيزنطي الذي كان يغير على موانئ الشام ومصر فبدأوا يبنون السفن ويروضون أنفسهم على ركوب البحر ليصارعوا البيزنطيين في ميدانهم.

ثم فتح المسلمون إفريقية والمغرب الأقصى، وأصبحت سواحله الطويلة معرضة لغارات الأساطيل المسيحية التي كانت تتخذ من جزر حوض البحر الأبيض معاقل لها تغير منها على الشواطئ الإفريقية المقابلة لها.

ثم فتح المسلمون بلاد الأندلس واستولوا على الموانئ الهامة المطلة على حوض البحر الأبيض ـــ وكانت الأساطيل الفرنجية تأوى إليها وتعتصم بها وكان الحوض الغربي لهذا البحر أصبح بحيرة إسلامية[1].

بلغت السيادة الإسلامية الذروة ولم يعد الفرنجة يسيطرون إلاّ على الطرق البرية، وأصبح القراصنة المسلمون مطلقي السراح يفعلون ما يشاءون.

ولم يكتف المسلمون بهذا القدر بل بدأت قواتهم تغير على سواحـــل أوروبـــا نفسها[2].

---

(3) الحميري: الروض المعطار : مصدر سابق، ص 80.
الصلابي : فقه التمكين، ص 80.

[1] حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، مرجع سابق، ص 235 .

[2] حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين : مرجع سابق، ص 238.

وقد فاقت الأساطيل الفاطمية غيرها من الأساطيل الإسلامية في عنف هجومها وجرأتها. أما الأمويين في الأندلس فقد عمدوا إلى الإكثار من الأساطيل حتى بلغت البحرية الأندلسية الذروة في عهد عبد الرحمن الناصر الذي استولت سفنه على جزر البليارو ميروقة[3].

لكن القوى الإسلامية بعد أن بلغت الأوج في القرنين الثالث والرابع بدأت تتقهقر حينما أظل العالم الإسلامي القرن الخامس الهجري، وبدأت السفن الإسلامية ترتد على أعقابها خاسرة. وأخذت القوى المسيحية تنال من هذه السيادة، فقد انتقل الخلفاء الفاطميون إلى مصر، ولم يعودوا يهتمون بأمر هذا الجزء من العالم الإسلامي، وأخذ شأن الخلافة الأموية يضعف حتى سقطت آخر الأمر، وتفــرق شمل الأندلس، وعكف ملوك الطوائف على شئونهم الخاصة وأخذت البحرية الأندلسية التي طالما أدخلت الرعب في قلوب الفرنجة يضعف شأنها وبــدأت تختــفي من الميدان[4].

المبحث الثاني

موقعة الزلاقــة

يوسف بن تاشفين:

يوسف بن تاشفين الصوام القوام، الفاتح المجاهد، الفارس العبقري المتواضع العادل، الذي جمع حسن الخلقة والجسم، إلى جمال الخلق والإيمان، وجمع مع السلطان والأمارة التواضع واحتقار الترف في الملبس والمسكن، فكان طعامه خبز الشعير، وشرابه لبن الإبل، وهذا التقشف متعه ـــ مع صفاء النفس ـــ بصحة جيدة، فعاش مائة سنة من الزمن مجاهداً.

إنه أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بطل نصر الزلاقة العظيم[1].

---

(3) ابن عذاري : البيان المغرب، ج2، ص 253.

(4) ابن عذاري : البيان المغرب، ج1، ص 238.

(1) شوقي أبو خليل: الزلاقة، دار الفكر ، بيروت: لبنان، ط2. 1980م، ص 9.

يقول بن الأثير[2] " رجلاً ديناً خـــيراً حازماً داهية مجربا" وأنه حسن السيرة في الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة، وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة وأتباع الشريعة. قال تعالى :(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[3].

كان المرابطون يعدون العدة لخوض معركة الجهاد مهما كلفهم ذلك، فقد قال يوسف :(أينما كان غرضنا من ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم لما رأينا استبدادهم على أكثرها وغفلة ملوكها وإهمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وايثارهم للراحة ... ولئن عشت لأعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم في طوال هذه الفتنة إلى المسلمين، ولأملأنها عليهم خيلاً ورجالاً لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، إنما هم أحدهم فرس يروضه) [4].

أعلن الأمير يوسف حالة النفير العام من أجل الجهاد في الأندلس، فجاءته قوات من مراكش ومن الصحراء وبلاد الزاب، ومن مختلف نواحي المغرب، وبعد تجهيز السفن كان أول من نفذ العبور القائـــد العسكـــري المرابطـــي داؤود ابن عائشـــة[1].

تتابعت كتائب المرابطين وكانت معهم إبل كثيرة، الأمر الذي أدهش سكان الأندلس، وآخرها موكب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، في يوم الخميس منتصف ربيع الأول 479هـ (30 حزيران: يونيه 1086م) [2].

---

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص 232.

(3) سورة آل عمران، آية : 139.

(4) المراكشي : المعجب ، ص 103. حسن أحمد محمد : قيام دولة المرابطين، ص 268. انظر: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط3، 1956م، ص 11.

(1) نواف أحمد عبد الرحمن : حضارة الأندلس، الجنادرية للنشر، 2015م، ص 107.. انظر: غوستاف لوبون، ص 269م.

(2) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف. القاهرة : 1969م، ص 319.

ويذكر أنه هبت ريح عاصفة أثارت أمواجاً عالية، فرفع الأمير يوسف يديه إلى السماء يدعو الله عز وجل :(أللهم إن كنت تعلم أن جوازنا هذا خير للمسلمين فسهل علينا جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه)، فاستجاب الله القدير سبحانه دعاءه حتى سهــل الله المركــب وقــرب المطلب)[3].

فلما عبر يوسف وجميع جيوشه إلى الجزيرة الخضراء انزعج إلى إشبيلية على أحسن الهيئات، جيش بعد جيش وأمير بعد أمير، وقبيلاً بعد قبيل[4]، وبعث المعتمد ابنه إلى لقاء يوسف، وأمر عمال البلاد بجلب الأقوات والضيافــات[5].

وخرج المعتمد إلى لقاء يوسف من إشبيلية في مائة فارس ووجوه أصحابه، فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم، وركضوا نحوه فبرز إليه يوسف وحده والتقيا وتصافحا وتعانقا وشــكرا نعم الله تعالــى، وتواصيــا بالصبر والرحمـــــة[6].

اتفق الكل أن عدد المسلمين أقل من الكفرة ونظر الأدفونش إلى جموعه خلفة وقال : بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء. ورأى الأذفونش في نومه كأنه راكب فيل يضرب نقير طبل، فهالته الرؤيا وسأل عنها القسوس، ولم يجبه أحد فأرسل يهودياً عمن يعلم تأويلاً من المسلمين ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ولا اعبرها لك إلاّ إن صدقتني بصاحب الرؤيا، فقال أكتم عليّ، الرؤيــا للأذقونش، فقال المعبر صدقت ولا يراها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفي عسكره[1]. وتفسيرها قوله تعالى :(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)[2].

أما ضربة النقير فتأويلها قوله تعالى :(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ)[3]، فانصرف اليهودي وذكر للأذقونش ما وافق خاطره[4].

---

(3) التاريخ الأندلسي : عبد الرحمن حجي، ص 403. ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 147.

(4) المقري: نفح الطيب : مصدر سابق، ج4، ص 362.

(5) بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 18.

(6) االحميري: لروض المعطار: مصدر سابق، ص 87.

(1) المقري: نفح الطيب: مصدر سابق، ص 363.

(2) سورة الفيل، الآية : 1.

(3) سورة المدثر، الآيات : 8-9.

رتب ابن تاشفين قواته على النظام التالي[5]:

- الفرسان في طليعة المرابطين، وعددهم عشرة آلاف، يقودهم أبو سليمان وداؤود بن عائشة.
- قوات الأندلس تليهم ــ ويقودها المعتمد أمير إشبيلية، وكانت قوات الأندلس تؤلف وحدها جيشاً خاصاً منفصلاً عن جيش المرابطين.
- وسار بعدهم بيوم واحد ــ جيش المرابطين يقوده يوسف بن تاشفين، وكان ينزل في المساء في المحلة التي يغادرها أمير إشبيلية في الصباح ووصلت الجيوش قرب بطليموس ولبث هنالك ثلاث أيام.

وقد بالغت الروايات الأوروبية في عدد جند المسلمين فقالت إن المسلمين كانوا بضع مئات من الألوف (وكان عددهم لا يحصى عديده كالجراد المنتشر) والحقيقة أن المسلمين كانوا ثمانية وأربعين ألف نصفهم من الأندلسيين ونصفهم من المرابطين.

وتذكر الروايات أن جيش الفونسو كان مائة ألف من المشاة وثمانين ألفاً من الفرسان منهم أربعون ألفاً من ذوي العدد الثقــيلة والباقــون من ذوي العدد الخفيفة[1].

موقع المعركــة:

عسكر الجيشان المتحاربان على مقربة من بطليموس في سهل تتخلله الأحراش، تسمية الرواية العربية[2] الزلاقة أو السهلة، وتسمية الرواية النصرانية

---

(4) المقري: نفح الطيب، مصدر سابق، 364.

(5) شوقي أبو خليل، الزلاقة، ص 41.

(1) مجهول : الحلل الموشية : مصدر سابق، ص 38.
انظر ابن الأثير : ج10، ص 52.

(2) شوقي خليل: الزلاقة : ص 43. انظر: رينهارت دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، 1932م، ص 126- 130.

بسكر الياس Sacrelias وفرق بين الجيش نهر صغير سمته الرواية العربية نهر حجير أو بطليوس، يشرب منه المتحاربون[3].

لبث الجيشان كل منهما في اتجاه الآخر لا يفصلهما سوى النهر ثلاثة أيام، فأرسل بن تاشفين إلى الفونسو كتاباً يخبره فيه ثلاث : إما أن يعتنق الإسلام أو يؤدي الجزية للمسلمين، فإذا أبى الاثنين فعليه أن يبادر بالأهبة إلى القتال[4].

ومما قال ابن تاشفين [5] :(بلغنا يا أذفونش أنك دعوت للاجتماع بك، وتمنيت أن يكون لك فلكٌ تعبر البحر عليها إلينا، فقد أجزناه إليك، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك (.. وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ)[6].

جاءت الجواسيس من معسكر الأذفونش تقول (استرقنا السمع فسمعنا الأذقوش يقول لأصحابه : إبن عباد مسعر هذه الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وإنما قادهم ابن عباد فأقصدوه وأهجموا عليه فكتب ابن عباد ليوسف بن تاشفين لنصرته [7]

.

كتب الفونسو إلى أمير المرابطين قبل القتال: إن غداً يوم الجمعة وهو يوم المسلمين، ولست أراه يصلح للقتال، ويوم الأحد يوم النصارى وعلى ذلك اقترح اللقاء يوم الاثنين ففيه يستطيع كل منا أن يجاهد بكل قواه لإحراز النصر[1] دون الاخلال بيوم، فوقع هذا الاقتراح من يوسف موقع الرضى. وتحدد اللقاء يوم الأثنين 15 رجب سنة 479هـ، 26 تشرين الأول (اكتوبر) سنة 1086م[2].

---

(3) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 93.

(4) شوقي خليل: الزلاقة : مرجع سابق، ص 43.

(5) شمس الدين أبو العباس بن خلكان، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، حققه د. إحسان عباس، ج7، ص 116.

(6) سورة الرعد، الآية : 14. وسورة غافر ، الآية: 50.

(7) المقري: نفح الطيب : ج2، مصدر سابق، ص 365.

(1) المراكشي : المحجب ، ص 72. مجهول: الحلل الموشية : ص 39.

(2) المقري: نفح الطيب : مصدر سابق، ج2، ص 365/ ، ص 529.

يقول أشباح كان الفونسو يرى أنه يحق له أن يلجأ في الحرب إلى كل خدعة، وأن ينكث بالعهد المقطوع فيقاتل قبل اليوم المضروب ليفاجئ العدو، وليتمكن من هزيمته وأن يختار للقتال يوم الجمعة، وهو يوم المسلمين[3].

خطة الفونسو[4]:

تقسيمات جيش النصارى لم تكن أقل إحكاماً من الجيش الإسلامي، فقد قسم الفونسو جيشه إلى قسمين اثنين ــ الأول بقيادة الكونت جارسيان والكونت رودريك، وخصص لمهاجمة المعتمد بن عباد.

الثاني جناحا الفونسو بقيادة سانشو راميريز ملك أرجون، والكونت ريموند، بينما قاد القلب الفونسو السادس نفسه.

خطة ابن تاشفين[5]:

1- اتخاذ الجزيرة الخضراء خطاً للرجعة ومركزاً لتجمع جيوش ابن تاشفين في الأندلس قبل فوضى الزلاقة.

2- احتفظ ابن تاشفين بقوة احتياطية تحتوي على أشجع الجنود وأبرعهم تنتفض في الوقت المناسب على الأعداء. فخطة الزلاقة خطة مبتكرة رائعة تؤمن عنصر المفاجأة.

3- قاتل جيش الإسلام بنظام متماسك أربك النصارى فقد قاتل بنظام الصفوف المتراصة المتناسقة الثابتة[1].

يوم المعركــة:

فما كان صباح الجمعة[2] الثاني عشر من رجب سنة 479هــ 23 تشرين الأول سنة 1086م زحف الفونسو بجيشه على المسلمين، كان أمير المسلمين قد جلب

---

(3) يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس : ط2، نشر مؤسسة الخانجي، ص 82.

(4) أشياخ : تاريخ الأندلس ، ص 83. شوقي أبو خليل: الزلاقـة: ص 47. الصلابي : فقه التمكين، ص 86.

(5) شوقي أبو خليل: الزلاقة ، مرجع سابق، ص 48.

(1) الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في خير من عبر، الكويت، ج3، تحقيق فؤاد سيد، 1961م، ج3، ص 293.

معه الجمال فكانت ذات نفع، دارت المعركة حامية الوطيس عنيفة الحركة، شديدة الضرب، ظهرت فيها براعة الجيش الإسلامي والقائدين بن عباد وابن تاشفين[3].

سير الفونسو القسم الأول من جيشه بقيادة جارسيان ورودريك لينقض بمنتهى العنف على معسكر الأندلسيين الذي يقوده المعتمد وآمل أن يبعث في صفوف المسلمين الفزع ولكن دهش النصارى إذ رأوا أمامهم جيشاً من المرابطين قوامه عشرة آلاف فارس بقيادة بن عائشة، ولم يستطيع ابن عائشة أن يصمد للسيل الزاحف من الأعداد ولعنف الهجوم. ولكنه استطاع بوقفته الباسلة أن يحطم عنف هجوم النصارى. وخسر المرابطون في رد هذا السيل الجارف خسارة بشرية كبيرة[4].

داهمت خيل العدو ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الأرض حصيداً خلفها وجرح بن عباد جرحاً أشواه[5] ، وفر رؤساء الأندلس وتركوا ممتلكاتهم وأسلموها، وظنوا أنه وهي لا يرفع ونازلة لا تدفع[6]، وظن الأذفونش أن السلطان يوسف في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين، فركب أمير المسلمين وأحدق به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا الأذقونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها، وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات، فأهتزت الأرض، وتجاوبت الجبال الآفاق، وتراجع الروم إلى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها. ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أسر أمير

---

(2) الحافظ مجد الدين أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحية الكنلي الأندلسي البلنسي : سبتة المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي ، القاهرة: 1954م، مخطوط المتحف البريطاني، لندن، رقم 77، ص 119.

(3) شوقي :الزلاقة : ص 49. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مج10، أصدرها بالعربية أحمد الشناوي، دار الفكر، (د. ت)، ص 370.

(4) أشياخ : تاريخ الأندلس ، مرجع سابق، ص 83.

(5) المقري: نفح الطيب، مصدر سابق، ج4، ص 367.

(6) ابن خلكان : وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج6، ص 116.

المسلمين حشمة السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان[1].

فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها واجحمت عن أقرانها، وتلاحق الأذقونش بأسود نفدت مزاريقه، فاهو ليضربه بالسيف، فلحق به أسد من أسود المسلمين، وقبض على عنانه وانتضى خنجراً كان متمنطقاً به، فأثبته في حلق درعه، ونفذ من فخذه مع بداد سرجه، وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم، فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم، والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم[2].

لجأ الأذقونش إلى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم، وأباد القتل والأسر من عداهم من أصحابهم، وعمل المسلمون من رؤوسهم مآذن يؤذنون عليها[3].

انتهت الزلاقـــة بنصر رائع رد سيل النصرانية الجارف على الأندلس المسلمة بعد أن كان ينذرها بالمحو والزوال، فغنم الإسلام حياة جديدة في أسبانيا، امتدت أربعة قرون أخرى وهيأت الأندلس لتكون ولاية مغربية تابعة للمرابطين، ثم للموحدين لمدة قاربت ثمانية وخمسين عام بقيت الأندلس خلالها تتابع نشاطها المنتج وتقدمها الحضاري الباهر[4].

انجلت الزلاقة عن يوم مشهود من أيام الإسلام أنها تعني أكثر من هزيمة لملك قشتالة، وأكثر من ظفر للمرابطين، لقد توجست النصرانية منها. واستشفت بعدها تجدد الخطر الداهم الذي كان غير مرة ينذر بانتشار الإسلام فيما وراء جبال الرانسو.

كان من المفروض استثمار النصر لسحق مملكة قشتالة بوقت قصير، فإن المسلمين لم يتابعوا مطاردة أعدائهم، مما جعل الفونسو السادس يجد في حشد جيش

---

(1) المقري: نفح الطيب : ج4، ص 368.، الحميري: الروض المعطار: ص 92

(2) الحميري: الروض المعطار : مصدر سابق، ص 93. انظر : ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص 96 - 97 - 98. انظر : حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي: ج4، ص 117.

(3) شوقي أبو خليل: الزلاقـة: ص 55.

(4) شوقي أبو خليل الزلاقـة: مرجع سابق، ص 56 – 57.

جديد ساعده في ذلك ظرف مناسب جداً وهو تلقي يوسف بن تاشفين نبأ وفاة ولده أبي بكر[1].

ولم يمض عام حتى كان ملك قشتالة قد استعد لمحاربة أعدائه، وقد كان عندئذ أقوى منهم، ذلك أن الثغرة التي حدثت في صفوفهم من جراء خسائرهم في الزلاقة لم تعززها بعد جنود جديدة من إفريقية، وقد سحب أمراء الأندلس قواتهم من الجيش العام حين عودتهم إلى أراضيهم، وتؤكد الرواية النصرانية أن الفونسو خرج للغزو مرة أخرى في سنة 1087م[2] ، وأنه وصل في غذوته إلى إشبيلية، وسارت في الوقت نفسه قوة أخرى من القشتاليين لمؤازرة فرسان حصن لبيط فعاثت في ولاية مرسية[3].

نتائج الزلاقة[4]:

كانت لمعركة الزلاقـــة نتائج مهمة من أهمهـــا:

1- رفع الروح المعنوية لأهل الأندلس وخصوصاً بعد أن أنقذ الله بها سقوط سرقسطة من سقوط محتم، وأزاح من ملوك الطوائف وأمرائها كابوس النصارى ومتطلباتهم التي لا تنتهي من الجزية وغيرها.
2- سقوط هيبة ملوك الطوائف أمام رعاياهم خاصة وأنهم قد هزموا في بدء المعركة، ولولا أن أكرمهم الله بالمرابطين لضاعت الأندلس.

3- امتناع الرعية من دفع الضرائب المخالفة لتعاليم الإسلام، وتعلقهم بالمرابطين.
4- مهدت الزلاقة إلى اسقاط دولة الطوائف فيما بعد على يد منقذيهم.
5- ظهور نجم يوسف بن تاشفين والمرابطين في العالم أجمع.

---

(1) يوسف : أشياخ : تاريخ الأندلس، ص 89.
(2) الناصري: الاستقصاء : مصدر سابق، ج1، ص 129.
(3) المراكشي: المعجب : ص 71. روض القرطاس : مصدر سابق، ص 199.
(4) الصلابي ، فقه التمكين، ص 93.

6- انصياع قبائل المغرب التي كانت مترددة في ولائها وتنتظر فرصة الوثوب على المرابطين، وبذلك تكون نتيجة معركة الزلاقة أن جعلت تلك القبائل تخلد إلى السكينة وأعلنت ولائها التام.

7- عمت الأفراح أرجاء العالم الإسلامي في شرقه وغربه واعتقت الرقاب، وسر العلماء والفقهاء بهذا النبأ السعيد.

8- أصيب نصارى الأسبان بهزيمة تعيسة أثرت في نفوسهم، وتحطمت آمالهم في الاستيلاء على أراضي المسلمين في الأندلس وأمجادهم.

9- جعلت النصارى يرتبون أمورهم، ويوحدون صفوفهم ويتنازلون عن صراعاتهم الداخلية.

10- كانت الزلاقة يوماً مشهوداً من أيام الإسلام فهي أنعشت النفوس وقوت الآمال وأعانت في مد عمر إسلامية الجزيرة الأندلسية لأربعة قرون أخرى.

المبحث الثالث

الأندلس بعد الزلاقة

لما فرغ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل عنده، فعرج إلى بلاده إذ أجابه إلى ما طلب فلما انتهى ابن تاشفين إلى إشبيلية مدينة المعتمد وهي من أحسن المدن وأجملها منظراً، أمعن يوسف النظر فيها وهي على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة إليه، وفي غربها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرق إشبيلية، وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتأملها ويقولون له : إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة[1].

ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته : هل تختلف فتنقص عما عليه في بعض الأوقات ؟ فقيل له بل كل زمانه على هذا، فقال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوة ومنجية على الملك ينال حظاً من ذلك ؟ فقالوا : لا، قال فكيف ترون رضائهم عنه ؟ فقالوا لا رضي لهم عنه. فأطرق وسكت[2].

دخل رجل على المعتمد وكان من أهل البصائر قال : وقع في أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على أنهم يرون نفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك، وقد رأيت أن هذا الرجل أطلعته على ملكك مستأسد على الملوك، قد لا يؤمن أن يطمح إلى الطمع في ملكك.

وكان للمعتمد ندماء قد أنهكوا معه في اللذات فقال أحدهم، ما كان المعتمد على الله وهو إمام أهل المكرمات ــ ممن يغدر بالضيف وشكر المعتمد للناصح ووصله بصلة ــ واتصل هذا الخبر بيوسف فأصبح غادياً ــ فقدم له المعتمد الهدايا الثمينة والتحف فقبلها ثم رحل[3].

لم تكن موقعة الزلاقة سوى صدمة أصابت القشتاليين لزمن قصير ثم أخذوا يفيقون منها، فإن هزيمتهم لم تكن عن ضعف وتخاذل وإنما ترجع إلى غرور الفونسو

---

(1) المقري : نفح الطيب، ج4، ص 374.
(2) المقري: نفح الطيب، نفس المصدر، ص 375.
(3) المقري : نفح الطيب، نفس المصدر، ج4، ص 376 - 377.

بنفسه[1] . فلم يكد يمضي عام واحد على هزيمته حتى كان قد تمكن من استعادة قواه، فنقل ميدان نشاطه هذه المرة إلى شرق الأندلس، إذ أن غربها كانت تقوم فيه مملكتان إشبيلية وبطليموس، تعضدها فرقة من المرابطين قوامها ثلاث آلاف مقاتل[2] ، وتركها يوسف بن تاشفين تحت تصرف المعتمد بن عباد. أما الشرق فعلى الضد من ذلك، كان ممزقاً من الناحية السياسية بالإضافة إلى أن جيوش المرابطين لم تكن قد وصلت إليه بعد[3].

تؤكد الرواية النصرانية أن الفونسو خرج للغزو مرة أخرى في سنة 1087م ووصل في غزوته إلى قرب إشبيلية ، وسارت في نفس الوقت قوة أخرى من القشتالين بمؤازة فرسان حصن لبيط فعاثت في ولاية مرسية، بينما شغلت سرقسطة وبلنسية برد هجمات أمراء الأقاليم الجبلية فيما وراء المدينة[4].

ولم تكن تجمع كلمة الأمراء الأندلسيين وروابط الاتحاد القوية بل كانت تسودهم عواطف الأثرة والحسد.

فقد كان المعتمد يرى أنه غدا بعد الحوادث الأخيرة أشدهم خسارة من حيث الهيبة، لأن الأمراء الذين كانوا يخضعون له من قبل استردوا استقلالهم، وكان يتطلع إلى استعادة سلطانه عليهم، بل إلى تقويته وزيادته، وكان يعتمد على جيش المرابطين في معاونته في سبيل تحقيق مشاريعه، ومن ثم فقد سار إلى إفريقيـــة لرؤيـــة ابن تاشفين[5].

احتلال مرسية:

---

(1) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي، ص 642.
(2) يوسف أشياخ : التاريخ الأندلسي، ص 90.
(3) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي، مرجع سابق، ص 642.
(4) يوسف أشياخ ، تاريخ الأندلس : ، ص 90. ، شوقي خليل: الزلاقة : ص 58.
(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس : مصدر سابق، ص 199.، الناصري: الاستقصاء : مصدر سابق، ج1، ص 119.

بدأ ابن عمار يعد العدة، فجهز جيشاً كبيراً توجه به نحو قرطبة حيث التقى بحاكمها الفتح بن المعتمد واجتاز منها إلى حصن يدعى حصن بلج وكان تحت حكم رجل يدعى عبد الرحمن ابن رشيق وقد رحب به هذا واحتفى بقدومه احتفاءاً كبيراً، جعل ابن عمار يعهد إليه بقيادة جيشه، وتوجه الاثنان نحو أراضي مملكة مرسية[1].

توجه ابن عمار لسبب غير معروف إلى إشبيلية وترك الجيش إلى ابن رشيق، وحصل هذا إلى المدينة وضرب الحصار عليها، وفي نفس الوقت بدأ مداخلاته مع أهلها الموالين لابن عمار توطئة لتحديد ساعة الثورة معهم على بني طاهر. وأخيراً سقطت المدينة بيد ابن رشيق ونودى بالبيعة للمعتمد، ووقع صاحبها أبو عبد الرحمن بن طاهر أسيرا في يد ابن رشيق[2].

انهيار العلاقة بين ابن عمار والمعتمد:

تولى ابن عمار حكم مرسية وانتذاء كما يقول بن الآبار (.. على مرسية وقعد بها مقعد الرؤساء وخاطب سلطانه مخاطبة الأكفاء مستظهراً ببحر الأذيال وإفساد قلوب الرجال ولقد رأيناه يحاكي المعتمد محاكاة الند للند..) في زيه الرسمي، وفي تصريفه لأمور الدولة، والواقع أننا قد مررنا بشيء يدل على أن ابن عمار كان يضمر الخروج والتمرد على المعتمد، وأن تمرده هذا لم يكن ابن ساعته، أي عندما استقر بمرسية[3].

يقول صلاح خالص[4] انتذاء واستئثار الفاتحين، بالمقاطعات والمدن التي يفتحونها لحساب ساداتهم وأقربائهم كان شيئاً مألوفاً في الأندلس، ويعد خاصية من خصائص عصر الطوائف، كما يعبر عن روح العصر أصدق تعبير. كان ابن عمار

---

(1) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج2، ص 123 - 124.
(2) ابن الآبار: مصدر سابق، ج2، ص 123 – 124.
(3) ابن الآبار: مصدر سابق، ج2، ص 134 - 135.
(4) صلاح خالص: ابن عباد الاشبيلي : مرجع سابق، ص 232.

يعتد بنفسه كثيراً وكانت ثقته الكبيرة بحنكته السياسية والدبلوماسية وغطرسته حتى على أبناء المعتمد نفسه[1].

وكانت صداقته المتينة التي تربطه بالفونسو السادس دافعاً ثالثاً له للانفراد بحكم مرسية، بل أن هناك من يعتقد أن ابن عمار كان يعمل لحساب الفونسو وتحت إمرته[2]، وأن هناك من يقول بأن فتح مرسية تمّ بالاتفاق مع الفونسو.

أخفق ابن عمار في سياسته الخارجية لمملكته وسياسته الداخلية، وظلل جبهته الخارجية بسياج من الشك وفقدان الثقة.

أخفق في اختيار نوابه ومساعديه وترك لهم الحبل على القارب ولم تجد نصائح الخلص من ناصحيه في لفت انتباه شيئاً[3].

وابن رشيق يقتنص الفرص لتعيين أهله وأقربائه في المناصـــب والوظـــائف[4].

فكر ابن عمار في وقت من الأوقات أن يخرج إلى مقابلة الفونسو السادس شاكياً له معاملة ابن رشيد له، وفي نفس الوقت ليضع نفسه تحت تصرفه لكنه لم يوفق في مهمته، فاتجه إلى سرقسطة وملكها المؤتمن الذي خلف أبيه المقتدر في الحكم عام 474هـــ / 1081م، وعند ذلك أعلـــن ابن رشيـــق استقـــلاله بالمدينـــة[5].

العبور الثاني لابن تاشفين:

أدرك يوسفخطورة الموقف، فعبر في ربيع الأول سنة 481هـــ ــ يونيه سنة 1088م، إلى جزيرة الخضراء بجيش ضخم وختم مســـاره إلى مرسيـــة، حيث كان المسلمون يومئذ في أشد المأذق، من جراء غارات النصارى، فأمر يوسف جميع أمراء الأندلس أن يوافوه بقواتهم إلى إقليم مرسية، عند حصن لبيط وحاصر هذا الحصن المنيع، الذي كان فيه ألف فارس واثنا عشر ألفاً من المشـــاة[6] .

---

(1) صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي، بغداد، مطبعة الهدى، 1957، ص 122.
(2) الفتح بن خافان: قلائد العقيان في مجالس الأعيان، تونس 1386هـ - 1966م، طبعة باريس، ص 72.
(3) ابن الآبار : الحلة السيراء، مصدر سابق، ج2، ص 157 – 158.
(4) صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي، ص 137 - 140.
(5) عبد الله بن زيري : التبيان، مصدر سابق، ص 80.
(6) شوقي خيلي: الزلاقـة: 58.

وعند أسوار الحصن قرر ابن تاشفين والمعتمد رفع الحصار لعدم جدواه بسبب قلة أدوات وأسلحة الحصار[1]

وأراد ملاحقة الفونسو السادس حتى لا يتمكن من المضي في أهبته، ولما أخطر المعتمد أمراء الأندلس بهذا القرار، اعترض عليه أمراء مرسية وثار عليه عبد العزيز بن رشيق وهو من الولاة التابعين لاشبيلة، حينما رماه المعتمد بأنه متحالف مع الفونسو، وشهر على المعتمد سيفه لاشبيلية، فأمر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه.

وقد لبى الأمراء نداء يوسف[2] ، وتوافدوا إلى لبيط للاشتراك في هذه المعركة الجديدة، جاء عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة[3] ، وأخوه تميم صاحب مالقة والمعتصم بن صمادح صاحب المرية وأصحاب شقورة وبسطة وجيان وصاحب مرسية فلم يتخلف غير ابن الأفطس صاحب بطليوس[4].

وقد أطبق المسلمون على الحصن من كل ناحية ولم يتركوا فنا من فنون الحصار إلاّ استعانوا به[5] ، وشنو الحرب ليل نهار، واختص كل أمر بناحية يشدد عليها النكير ويهاجمها هجوماً مستمراً[6].

كما قطعوا الماء عن المحاصرين[7] ، وأذاقوهم البأس والشدة، ودامت المعركة أربعة أشهر[8]، واستبسل المعتصمون بالحصن استبسالاً منقطع النظير، فكانوا يخرجون من حصنهم في بعض الأحيان، وينقضون على المهاجمين، فينالون منهم، ثم ينسحبون إلى معقلهم من جديد[9].

---

(1) شوقي خيلي: الزلاقة: ص 99.
(2) عبد الله بن بلكين : اتبيان، مصدر سابق، ص 339 – 340.
(3) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، مصدر سابق، ص 186. مجهول: الحلل الموشية، ص 55
(4) ابن أبي زرع : روض الغرطاس، 341.
(5) ابن بلكين : التبيان ، مصدر سابق، ص 341.
(6) مجهول : الحلل الموشية ، ص 55 – 56.
(7) ابن بسام: الذخيرة : ج2، ص 107.
(8) ابن أبي زرع: روض القرطاس : ص 99.
(9) يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص 95.

يقول صاحب الحلل [1]:(أن القوى المتحالفة انصرفت عن ذلك الحصار وارتدت قوات المرابطين إلى مدينة لورقة).

اختلف المؤرخون في تحليل هذا الارتداد وتقدير أسبابه ونتائجه، فصور بعضهم الإنسحاب على أنه هزيمة للمرابطين وحلفائهم ونصر للجبهة النصرانية، وصوره البعض على أنه فوز، وظفر وحجتهم في ذلك الكتب المتبادلة بين المعتمد بن عبـــاد والمعتصـــم بن صمـــادح التي تصـــف هـــذا الفوز وتشيد بهذا الظفر[2].

يقول ابن بلكين[3]:(ثم عصفت ريح الفرقة بالقوى الإسلامية المجتمعة حول لبيط بسبب النزاع الذي احتدم بين صاحب مرسية وابن عباد).

يقول ابن بكلين:(نحن أحوج ما كنا إليه للاتفاق ولا سيما تلك المرحلة التي عدمت فيها الأقوات إلاّ بالشراء كل يوم، فدخل علينا من ذلك ضرر شنيع وطالت تلك الحملة الملعونة فكأنهـــا متلق أبان الطيب من الخبيث، وكشف العداوات فلم يزد الرؤساء إلاّ توحشاً ولا الرعية إلاّ تسلطاً، وكانت مقدمات سوء وزماناً على السلاطين عسيراً) [4].

وبينما المسلمون مختلفون أشد الاختلاف مرتبكون أشد الارتباك وردت الأنباء ليوسف بتقدم الفونسو صوب لبيط لانقاذ المدافعين عنها[5].

وقد حدث ما توقعه يوسف، فقد تقدم الفونسو واقتحم الحصن وانقذ المحصورين فيهم ثم دكا الحصن دكا، وانسحب نحو طليطلة لا يلوي على شيء[6] لأنه كان يخشى الاشتباك مع المرابطين فتتكرر هزيمة الزلاقة.

لكن يوسف أيقن أن أمراء الأندلس لا يصلحـــون للحكم ولا يعتمد عليهـــم في جهاد[7].

---

(1) مجهول : الحلل الموشية: ص 56. ابن ابي زرع: روض القرطاس، ص 99..
(2) ابن بسام : الذخيرة، ط2، ص 107.
(3) ابن بلقين : التبيان : ص 343. مجهول: الحلل : ص 56 ، أعمال الأعلام، ص295.
(4) ابن بلقين : التبيان : مصدر سابق، ص 341.
(5) الحلل الموشية: ص : 57، روض القرطاس: ص 99.
(6) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 99.

هكذا فقد جاء جواز يوسف هذه المرة مخيباً لآماله، كما تيقن من أنه لا يمكن الاعتماد على ملوك الطوائف في هذه المرحلة الخطرة من تاريخ الصراع بين المسلمين والنصارى وتلاشت منذ ذلك الوقت فكرة الجبهة الواحدة[1].

وفوق هذا وذاك فقد سيطرت عليه حالة من الشك على أذهان وعقول ملوك الطوائف من نوايا يوسف مثلما سيطرت عليه هو نفسه، فالأمراء وقد رأوا ما حل بابن رشيق فقد انتابتهم حالة من الريبة والجذع. وفي نفس الوقت بلغ يوسف من النفور حداً جعله يرفض ما طلبوه من بقاء مجموعات من الجيش المرابطي في الأندلس وخاطبهم مؤنباً أصلحوا نياتكم تكفوا عدوكم.

ومن منظارفقدان الثقة وحسن الظن والريبة والتشكك المتبادل تبعاً لذلك تتفهم دوافع ابن زيري فيما فعله من وجهة نظره الخاصة، فقد أوحت إليه كل تلك الاعتبارات بأن يحصن مملكته ويتخذ أسباب التحوط والحذر من النصارى والمرابطين على السواء رغم ما حاول أن ينفيه عن نفسه من أنه لم يفعل ذلك إلاّ تحوطاً من اعتداءات النصارى[2].

أما قضية تعاقدهمع الفونسو السادس ودفعه إتاوة له فعبد الله بن زيري شعر أكثر من غيره بتهديدات الفونسو وقواده له[3]، وعندما جاء القائد القشتالي البرهانس يطلب منه مالاً خاصاً له، أعطاه إياه، الكل كان يعمل لحسابه بطريقة أو بأخرى، ثم جاء الفونسو وهدد ابن زيري بالقتال إن لم يعطه الإتاوة عقد معه مضطراً معاهدة ودفع له بموجبها إتاوة مقدارها ثلاثـين ألـف مثقـال عن ثلاثـة أعوام[4].

دفع عبد الله بن زيري[5]. الأتاوة من ماله الخاص وقد حصلت سابقات قبل موقعة الزلاقة وقبل حصار لبيط من معاقدات مع النصارى لدفع شرهم، بمعنى إننا لا نجد في هذا

---

(7) ابن خلدون : العبر، ج6، ص 187.

(1) عبد الله بن زيري: التبيان، مصدر سابق، ص 122.

(2) عبد الله بن زيري: التبيان، مصدر سابق، ص 119 - 120.

(3) عبد الله بن زيري: التبيان: مصدر سابق، ص 122 - 124.

(4) عبد الله بن زيري: التبيان : 124 - 125.

(5) عبد الله بن زيري: التبيان، ص 126.

الموقف ما يدل على خيانة المرابطين، فالأندلس لم تكن تقع وقتها من الناحية الرسمية تحت سلطة المرابطين، كما أن عبد الله بن زيري لم يكن نائباً من نواب يوسف بن تاشفين في الأندلس.

استسلام ذليل وتغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة بل خيانة للقضية الإسلامية نفسها.

ساءت علاقة عبد الله بن زيري بالمعتمد الذي شعر بأن المعاهدة التي عقدها مع الفونسو ستؤثر عليه وعلى مملكته، ولذا فقد بدأ يظهر عليه العداء له رغم أنه ينفي ذلك في دفاعه عن نفسه نفياً قاطعاً[(1)].

بل أنه أشار إلى أنه قد صرف رسل الفونسو الذين جاءوا إليه يعتذرون عما سببه له تعاقده معهم من اللغط وسوء الظن فصرفهم منعاً لأي التباس.

كما دخل في نزاعات مع بعض قواده ورجال دولته، وبادر هؤلاء إلى الدس عند يوسف بن تاشفين مما أوغر صدره عليه كثيراً ولم تجد محاولاته إرسال الرسل إلى يوسف بن تاشفين كما تدهورت علاقاته بالمعتمد ولكن حتى الرسل رأوا أن دولة عبد الله بن زيري قد زالت أو أوشكت على الزوال[(2)].

كان ملوك الطوائف لا ينظرون إلى عزة أمتهم حتى وصفهم ابن حزم بقوله، لو وجدوا في اعتناق النصرانية وسيلة لتحقيق أهوائهم ومصالحهم لما ترددوا) [(3)].

كان المسلمون في الأندلس يتمنون أن ينضموا إلى دولة المرابطين وعبر عن ذلك فقهاؤهم وعلماؤهم، وبرز الفقيه القاضي ابن القلاعي (قاضي غرناطة)[(*)]. الذي توطدت العلاقة بينه وبين يوسف بن تاشفين منذ ذهاب أول بعثة إلى المغرب لطلب النجدة كان أحد أعضائها وكان يرى في الأمير يوسف صلاحاً وعدلاً وحزماً.

---

(1) عبد الله بن زيري: ص 128 – 129.
(2) عبد الله بن بلقين: التبيان، ص 145 - 146.
(3) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف، ص 406، نقلاً عن رسالة ابن حزم.
(*) غرناطة : مدينة بالأندلس ، فيها جبال شاهقة ، هناك رجل ميت لم تغيره الأزمنة، ولا يدرى له شأن، ويذكر أن بعض المستهذئين أخذ من أكفان هذا الميت، فصعق لفوره، الروض المعطار، ص 491.

حاول الأمير عبد الله بن ملك غرناطة أن يتخلص منه فاعتقله، ثم اضطر إلى إطلاق سراحه، فهرب إلى قرطبة ومن هناك اتصل بالأمير يوسف، وأطلعه على خفايا الأمور وأفتى بخلع ملوك الطوائف[4].

□

□

الفصل الرابع

ضم الأندلس بالقوة والقضاء على حكم الطوائف

المبحث الأول: جواز الأمير يوسف الثالث

المبحث الثاني: موقعة اقليش وسرقسطة

المبحث الثالث : موقعة طلبيرة ، وموقعة قُتندة ، موقعة افراغة

(4) الصلابي : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص 124.

المبحث الأول

جواز الأمير يوسف الثالث للأندلس

العبور الثالث لابن تاشفين وضم الأندلس:

أرسل الإمام أبوبكر بن العربي المالكي إلى الإمام الغزالي كتاباً يشـــرح فيـــه موقف ملوك الطوائف بالأندلس من حركة يوسف بن تاشفين الجهادية، ويطلب منـــه فتياً في ذلك[2].

فتوى الإمام الغزالي في موقف يوسف بن تاشفين:

هذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطـــار المســـلمين فـــي مشارق الأرض ومغاربها فعليهم تزيين منابرهم بالدعاء للإمام الحق، وإن لـــم يكـــن بلغهم صريح التقليد من الإمام أو تأخر عنهم ذلك لعائق، وإذا نادى الملك المســـتولي بشعار الخلافة العباسية وجب على كل الرعايا والرؤساء الإذعان والانقيـــاد ولـــزمهم السمع والطاعة أو عليهم أن يعتقدوا أن طاعته هي طاعة الإمام، ومخالفته هي مخالفة الإمام، وكل من تمرد واستعصى وسل يده عن الطاعة فحكمه حكم الباغي[1]، وقد قال الله تعالى :(وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ)[2].

---

(1) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 480-484.
(2) سورة الحجرات، الآية: 9.

الفيئة إلى أمر الله، الرجوع إلى السلطان العادل المتمسك ولاء الإمـــام الحـــق المنتسب إلى الخلافة العباسية، فكل متمرد على الحق فإنه مردود بالسيف إلى الحـــق، فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردين عن طاعتـــه،[3]. ولا ســـيما وقـــد استنجدوا بالنصارى المشركين وأوليائهم، وهم أعداء الله في مقابلة المسلمين الذين هم أولياء الله، فمن أعظم القربات قتالهم إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية، ويتركوا المخالفة، وجب الكف عنهم، وإذا قاتلوا لم يجُـــز أن يتتبع مدبرهم ولا أن يُزفف على جريحهم، بل متى سقطت شوكتهم وانهزموا وجـــب الكف عنهم، أعنى عن المسلمين منهم دون النصارى الذين لا يبقى لهـــم عهـــد مـــع التشاغل بقتال المسلمين، وأما ما يظفر به من أحوالهم فمردود عليهم أو على وريثهم، وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم في القتال مهدرة لا ضمان فيها وحكمهم في الجملـــة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة، والمستولي على المنابر والبلاد بقـــوة الشوكة حكم الباغي على نائب الإمام، فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتـــراض العوارض المانعة من وصول المنشور بالتقليد فهو نائب يحكم قرينة الحال، إذ يجـــب على الإمام المصر أن يأذن لكل إمام عادل استولى على قطر من أقطار الأرض، في أن يخطب عليه، وينادي بشعاره ويحمل الخلق على العدل والنصـــفة، ولا ينبغـــي أن يظن بالإمام توقف في الرضا بذلك والإذن فيه.

وإن توقف في كتبه المنشور، فالكتب قد يعوق عن إنشائها وإيصالها المعاذير، وأما الإذن والرضا بعد ما ظهر حال هذا الأمير بالاستفاض ظهوراً لا شك فيـــه وإن لم يكن عن إيصال الكتاب وإنشائه عائق، وكانت هذه الفتنة لا تنطفئ إلاّ بأن يصـــل إليهم صريح الإذن والتقليد بمنشور مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمـــراء، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك. فإن الإمام الحق عاقلة أهل الإسلام، ولا يحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثائرة إلاّ ويسعى في إطفائها بكل ممكن.

---

(3) أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص 479 - 480. الصلابي: فقه التمكين، مرجع سابق، ص 126-128.

قال عمر رضي الله عنه :(لو تركت جرباء على ضفة الفــرات، لــم تطــل بالهناء، فأنا المسئول عنها يوم القيامة). قال سليمان بن عبد الملك يوماً وقد أحدق به الناس، فقال عمر بن عبد العزيز :(خصماؤك يا أمير المؤمنين) يعني أنك مســئول عن كل واحد فيهم، إن ضيعت حق الله فيهم أو أقمته فلا رخصة في التوقيــف عــن إطفاء الفتنة في قرى تحوي عشرة، فكيف في أقاليم وأقاليم إلاّ أن يعوق عــن ذلــك عائق، ويمنع منه مانع، المواقف القدسية الإمامية المستظهرية حرس الله جلالها أبصر بها ونحن نعلم أن لا نستجيرُ التوقف عن إطفاء هذه الفتنة إلاّ لعذر ظاهر وجب على أهل الغرب أن لا يعتقدوا في هذه الخلافة إلاّ ذلك، فإن المسافة إذا بعــدت وتخللهــا المارقون عن رفقة الحق، ولم يبعد أن يقضي الرأي الشريف صيانة الأوامر الشريفة عن أن تمد إليها أعين الدولة فضلاً عن أيديهم، وأما من يستجيز التوقف فيها من غير عذر عن التقليد لأمير قد ظهرت شوكته وعرفت سياسته أو تناطقت الألســن بعدلــه، ولم يعرف من ذلك القطر من يجري مجراه، ويسد في هذا الحال مسده، فهذا اعتقــاد فساد في حضرة الخلافة أحاشها من أن تنسب إلى قصور أو تقتضي في نصرة أهــل العدل المتمسكين بخدمتها، والمعتصمين بعروتها، والقائمين في أقطار الأرض بإنفــاذ شعائرها وأوامرها المعلومة بقرائن الأحوال، فهذا حكم كل أمير عــادل فــي أقطــار الأرض وحكم من يعني عليه والله أعلم[1].

أما اعتراف يوسف بن تاشفين بطاعة الخليفة العباسي فمسألة تتفق عليها معظم الروايات.

يقول ابن الأثير:(إن يوسف بعد أن تم له افتتاح ممالك الطوائف والاستيلاء على الأندلس، وعاد إلى حضرة ملكه مراكش، جمع الفقهاء وأحسن إليهم، فذكروا له أنه ينبغي أن تكون ولايته صادرة من الخليفة لتجب طاعته على الكافة، وأنه يجب أن يأتيه منه تقليد بحكمه للبلاد ويرجع ابن الأثير هذا النصح إلى علماء الأندلس خاصة، ويقول إن يوسف أرسل على أثر ذلك إلى الخليفة المفتدى بــأمر الله، فوافتــه الخلــع

(1) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص 484.

والأعلام والتقليد، ولقب بأمير المسلمين) وناصر الدين[2] صاحب روض القرطاس:(ويقول أن صدور هذا التقليد العباسي ليوسف قد وقع قرب انتصار الزلاقة) [3].

يقول ابن خلدون عكس ذلك:(إن يوسف قد كتب في شأن تقليده إلى الخليفة المستظهر بالله، ولد المقتدى بالله وخلفه، وأنه بعث إليه في ذلك الغرض سفارة على رأسها عبد الله بن محمد بن العربي الأشبيلي، وولده القاضي أبوبكر وهو الحافظ الشهيد فيما بعد فتلطفا في القول وأحسنا في الإبلاغ وطلبا إلى الخليفة أن يعقد ليوسف على المغرب والأندلس، فصدر له عهدة بذلك، وعاد السفيران يحملان التقليد بولاية يوسف على ما تحت نظره من الأقاليم والأقطار، وأذيعت محتويات هذا التقليد بين الناس، وكتب الإمام الغزالي والقاضي الطرطوشي إلى يوسف يحضانه على العدل والتمسك بالخير ويفتيانه في شأن ملوك الطوائف)[1].

وقد اختلفت الروايات التي حملت يوسف على اتخاذ هذا القرار. بيد أنه يبدو على ضوء مختلف الروايات، على أن يوسف قد تأثر منذ البداية بما شهده من اختلال أحوال أمراء الطوائف وضعف عقيدتهم الدينية، وإنهاكهم في مجالي الترف والعيش الناعم، وما يقتضيه ذلك من إرهاق لشعوبهم بالمغارم الجائرة. وأدرك أن هذه الحياة الناعمة التي انغمس فيها رؤساء الأندلس وشعوبهم اقتداء بهم هي التي قوضت صنعتهم، وفتت رجولتهم وعزائمهم، وأضعفت همتهم عن متابعة الجهاد ومدافعة العدو المتربص بهم، وأن الشقاق الذي استحكم بينهم، ولم يستقطع بعد الزلاقة وسوف يقضي عليهم جميعاً، إذا تركت الأمور في مجراها، وسوف يمهد لاستيلاء النصارى

---

(2) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج1، ص 52 و 145. انظر : أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص 479 - 480.
(3) ابن أبي زرع، روض القرطاس : مصدر سابق، ص 88.
(1) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 188.

على جميع أنحاء شبه الجزيرة في أقرب وقت. ومن ثم فقد اعتزم أمير المسلمـــــين أمـــره نحو الأندلس، ونحـــو أمرائها العابثين المترفيـــن[2].

توجد بواعث أخرى حملت يوسف بن تاشفين على افتتاح ممالـــك الطوائـــف منها ما وقف عليه يوسف من رجوع بعض رؤساء الطوائف إلى مصادقة الفونســـو ملك قشتالة وممالأته، بل واستعدائه على محاربه يوسف نفسه وإمداده لذلك بالأموال والهدايا ، وكان هذا موقف عبد الله بن بلغين صاحب غرناطة ، ثم موقف المعتمد بن عباد وقد عمد كلاهما في الواقع لتحصين بلاده والاستعداد للدفاع عنها [3].

وهناك روايات تحدثنا عن طمع يوسف بن تاشفين وصحبه وهم أولئك البـــدو والصحراويون، قد راقهم ما شهدوه من خصب الأندلس ونعمائها، وطيب هوائها، فإن الرواية تحدثنا عن طمع يوسف في الجزيرة وتشوقه إلى مملكتها، ويـــذكر أنـــه قـــال لبعض ثقاته، كنت أظن أني قد ملكت شيئاً، فلما رأيت تلك البلاد (الأندلس) صـــغرت في عيني مملكتي[1].

عبر أمير المسلمين إلى شبه الجزيرة للمرة الثالثة في أوائل ســـنة 483هـــــ، عندما تواتر إليه من أخبار الاتفاقات السرية التي يعقدها المعتمد بن عباد، والمتوكـــل بن الأفطس وعبد الله بن بلقين مع الفونسو السادس، ملك قتشالة للتعـــاون علـــى رد المرابطين[2] . واتسمت حملة يوسف في البداية بطابع الجهاد، حيث سار تـــواً إلـــى طليطلة، واجتاح في طريقه أراضي قشتالة. ولم يتقدم أحد من أمراء الطوائف يومئـــذ لمعاونته أو السير معه وربما كان يوسف يرجو أن يسترد طليطلة، فيشفي بذلك جرح الأندلس الدامي، ويكتسب عطف أهل الأندلس جميعاً، وعاث المرابطون فـــي احـــواز طليطلة وخربوا ضياعها، وانتسوا زروعها، ثم ضربوا الحصـــار حـــول العاصـــمة

---

(2) المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص 89.
(3) ابن خلدون، ج6، ص 187. انظر : محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 338.
(1) المراكشي: المعجب، ص 74. انظر : ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص 40.
(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 163. المقري: نفح الطيب، ج2، ص 533.
محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف، ص 339.

القوطية القديمة وعاصمة قشتالة يومئذ، وكان بداخلها الفونسو السادس وخليفة سانتشو راميدز يقومان بالدفاع عنها، بيد أن المرابطين أيقنوا بعد أن شهدوا أسوارها العاليـــة وحصانتها الفائقة بعبث المحاولة، فتركوا الحصـــار، وارتـــد يوســـف بقواتـــه إلـــى الجنوب[3].

توجه يوسف[4] صوب طائفة غرناطة التي استسلم له أميرها ابن بلقين وتقـــول المصادر الأندلسية أن ابن بلقين قد بعث قاضيه عيسى بن سهل مرتين أو أكثر إلـــى المغرب سفيراً لدى المرابطين، لكن القاضي ـــ كما زعم ابن بلقين ـــ قد وشى لابـــن تاشفين على نقاط ضعف أميره عبد الله بن بلقين وأعلمه أن أهل غرناطـــة مجمعـــين وغير مختلفين على طاعة بن تاشفين، وأن قلوب الجنـــد أعلمـــه أن أهـــل غرناطـــة مجمعين وغير مختلفين على طاعة ابن تاشـــفين، وأن قلـــوب الجنـــد والعامـــة مـــع المرابطين، وبهذا شجع ابن سهل المرابطين على الاستيلاء على غرناطة، وتم نفـــي ابن بلقين إلى المغرب سنة 484هـــ. لكن المرابطين صرفوا عيسى بن ســـهل عـــن قضاء غرناطة بعد سيطرتهم عليها بسبب شدتـــه في القضـــاء.

يعترف الأمير عبد الله[1] بن بلقين في مذكراته بالصلات مع الفونسو لكنه يقول لنا أنها لم تكن سوى التزام منه بدفع الجزية للفونسو، وتعهد من الفونسو بألا يعترض له بلداً ولا يغدر به.

القى المرابطون[2] القبض على تميم بن بلكين وإلى مالقه وأرسل إلى إفريقيـــة ثم رجع الأمير يوسف إلى بيته، وتولى القيادة السياسية والعسكرية، القائد المحنك سير بن أبي بكر، وبدأ الأمير يوسف في إرسال الجيوش من المغرب إلى الأندلس للقضاء الكلي على ملوك الطوائف، وأصبحت القوة المرابطية في الأندلس قـــوة ضـــاربة لا يستطيع أحد الصمود أمامها.

---

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 99.

(4) نواف أحمد عبد الرحمن : حضارة الأندلس، مرجع سابق، ص 109.

(1) ابن بلقين: التبيان ، مصدر سابق، ص 125. ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 187.

(2) الصلابي ، فقه التمكين، ص 112.

قسم الأمير يوسف جيش المرابطين إلى أربعة أقسام[3]:

1- جيش بقيادة سير بن أبي بكر توجه إلى إشبيلية.

2- جيش سار إلى قرطبة بقيادة أبي عبد الله بن الحاج وواليها آنذاك. ولد المعتمد الفتح أبو النصر.

3- سار جرور اللمتوني إلى أرض رندة بجيش ثالث، وفيها ولد آخر للمعتمد وهو يزيد الراضي بالله.

4- وسار أبو زكريا بن واسندو إلى المرية التي فيها المعتصم بن صمادح، صديق المعتمد الحميم.

وبقى يوسف بن تاشفين في بيته على رأس جيش احتياطي لكي يقوم عند الحاجة بإنفاذ هذا الجيش أو ذاك. وقد استولى سيري على جيان في أوائل سنة 484هـ ــ 1091م ثم سار نحو قرطبة ، فاستولى عليها من صاحبها المأمون بن المعتمد (صفر 484هـ) ثم يمم شطر قرمونة فدخلها عنوة (ربيع الأول 484هـ) فلم يجد المعتمد بداً من الاستنجاد بالفونسو السادس الذي أمده بعشرين ألف فارس، وأربعين ألف راجل، فوجه الأمير سير إليه جيشاً، والتقى الجمعان على مقربة من حصن المدور وانتصر عليه، ولم يذل الأمير سير ابن أبي بكر يضيق الخناق على المعتمد حتى سقطت أشبيلية في 22 رجب سنة 484هـ، وأرغم على طلب الأمان في نفسه وولده وأهله فبعث بهم سيري إلى أمير المسلمين، فأنزلهم أغمات القريبة من مراكش ، قال الله تعالى :(قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) [1].

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، مصدر سابق، ج2، ص 69 - 77..
(1) سورة آل عمران، الآية: 26.

وتوفى المعتمد بن عباد[2] في أغمات سنة 488هـ رحمه الله، ونـودي فـي جنازته بالصلاة على الغريب، بعد عظم سلطانه وجلالة شأنه فتبارك من لـه البقـاء والعزة والكبرياء[3].

وفي شهر شوال من هذه السنة دخل المرابطون بقياده يوسف بـن داؤد ابـن عائشة مدينه مرسية وأعمالها ، ثم دخل المرية فهرب صاحبها معـز الدولـة بـن صمادح بحراً إلي افريقية بأمواله وعياله ، وفى سنه 485 هـ أمـر يوسـف بـن تاشفين قائده ابن عائشة بالمسير إلي دانيه فاستولي عليها من القادر بـن ذي النـون وكان يخضع للفونسو السادس ويدفع له الجزية.

فملك يوسف مملكة خمسة أمراء في سنة ونصف وهم ابـن عبـاد ـ وابـن حبوس (غرناطة) وابن عبد العزيز ، وعبد الله بن بكر (جيان).

تساقطت عواصم الأندلس في أيدي المرابطين، وكان آخرها بطليموس التي قام ملكها عمر المتوكل باستدعاء الفونسو السادس مسلماً له الأشبونة وشنترين وشـنترة ثمناً لمعونته، وكانت هذه المدن قد استردها المسلمون بعد وقعة الزلاقةوأدى ذلك إلى ثورة شعب بطليموس عليه، غير أن المتوكل قاوم المرابطون بالقوة، ممـا اضـطر يوسف بن تاشفين إلى الأمر لا بخلعه ونفيه فحسب، بل بقتله لخيانته.

استمر خلع ملوك الطوائف ولم يتبق منهم هذه السنة إلا بنو هود أصحاب الثغر الأعلى، وأغلب المرتضى الذي كان يحكم جزيرة البليار وذلك من الخـوف مـن أن يلقوا بأيديهم إلى جيرانهم المسلمين، ثم أنهم لم يقصروا في جهاد الأعداء[1].

الأندلس أصبحت مجرد ولاية في الإمبراطورية المرابطية التي امتدت من نهر الابرو (Rio Ebro)، شمالاً إلى نهر السنغال في أفريقيا المدارية الغربيـة جنوبـاً،

---

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج5، ص 37. الصلابي، فقه التمكين، ص 113.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص 163. ابن أبي زرع: روض القرطاس، مصدر سابق، نفس الصفحة. 69-77. المقري، نفح الطيب ، ج6 ، ص 104 - 110.
انظر : حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص 79.

(1) سلمى الخضراء الحبوسي: الحضارة العربية في الأندلس. مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م، الطبعة الثانية، بيروت، 1999م، ص 113.

وكانت تلك مهمة ثقيلة بسبب فساد أوضاع الأندلس السياسية والاقتصـــادية وتعـــاظم القوى المسيحية[2] .

استطاع النصارى أن يحتلوا مدينة بلنسية عام 487هـ بقيادة القائد النصراني الكمبيادور الذي أمن قاضيها وابن جحاف، ثم أحرقه وعمـــل[3] المرابطـــون علـــى إرجاع بلنسية والحصون التي وقعت في يد النصارى وتمكنوا من تحرير بلنسية عـــام 495هـــ. [4]

وقد أجمل لنا مأساة ملوك الطوائف شاعر معاصر هو أبو الحسن جعفـــر بـــن إبراهيم المعروف بابن الحاج اللورقي، في تلك الأبيات الثلاثة[5]:

كم بالمغارب من أشلاء محترم * وعاثر الجد مصور على الهون

أبناء معن وعبـــاد، ومســـلمة * والحميرين باديسٍ وذي النـــون

راحوا في هضاب العز أبنيـــة * وأصبحوا بين مقهور ومســـجون

آثــار الابتعاد عن تحكيم شرع الله على ملوك الطوائف:

1/ إن الابتعاد عن تحكيم شرع الله تعالى يجلب للأفراد والأمة تعاسة وضنكاً فـــي الدنيا وهلاكاً وعذاباً في الآخرة، وأن آثار الابتعاد عن شرع الله لتبدو عليـــه الحيـــاة فـــي وجهتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية[1].

إن الفتن تظل تتوالى وتترى على الناس حتى تمس جميع شئون حياتهم، قال تعالى :(ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2].

لقد كانت ممارسة ملوك الطوائف للحكم البعيد عن شرع الله آثار على الأمة، فتجد الإنسان المنغمس في حياة المادة الجاهلية، مصاباً بالقلق والحيرة والخوف والجبن يحســـب كل صيحة عليه، يخشى من النصارى ولا يستطيع أن يقف أمامهم وقفـــة عـــز وشـــموخ

---

(2) سلمى الحيوسي، مرجع سابق، ص 114.
(3) المقري: نفح الطيب، ج4، ص 455.
(4) الصلابي: فقه التمكين، ص 116.
(5) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص 101-102.
(1) الصلابي ، فقه التمكين، ص 119.
(2) سورة النور، الآية: 63.

واستعلاء، وإذا تشجع في معركة من المعارك ضعف قلبه أمام الأعداء من أثر المعاصي على قلبه وأصبح في ضنك من العيش، قال تعالى :(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ)[3].

2/ أما الآثار على الأمة الأندلسية فقد أصيبت بالتبلد وفقد الإحساس بالذات ومات ضميرها الروحي فلا أمر بمعروف تأمر به ولا نهي عن منكر تنهي عنه، وأصابهم ما أصاب بني إسرائيل عندما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى :(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)[4].

فإن أي أمة لا تعظم شرع الله أمراً ونهياً فإنها تسقط كما سقط بنو إسرائيل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] :(كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً وتقصرنه على الحق قصراً وليعذبن الله بقلوب بعضكم بعضاً ثم ليلعنكم كما لعنهم)[2]

3/ إن ملوك الأندلس تحققت فيهم سنة الله الماضية بسبب تغيير النفوس من الطاعة والانقياد إلى المخالفة والتمرد على أحكام الله، قال تعالى :(ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ)[3].

---

(3) سورة طه، الآية: 124.
(4) سورة المائدة، الآية 78 - 79.
(1) الصلابي، فقه التمكين، مرجع سابق، ص 119.
(2) سنن أبي داؤود، الإمام أبو داؤود سليمان بن الأسحش السجستاني، كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف ، رقم الحديث 4670.
(3) سورة الأنفال ، الآية : 53.

كما أن المجتمعات التي تخضع تحت الحكام الذين تباعدوا عن شرع الله تـــذل وتهان حتى تقوم أمام من خالف أمر الله وتطلب العون مـــن إخـــوانهم فـــي العقيـــدة لإرجاع حكم الله في مجتمعاتهم.

إن ملوك الأندلس انعكس انحرافهم على شباب الأندلس كله وفرط أهل الأندلس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وانعكس ذلك في حركة الفتوحات الإسلامية التي توقفت، ولذلك حرمت شعوب كثيرة من سعادة الدنيا والآخــرة بســبب تضـــييع الأمانة والرسالة والدعوة إلى هذا الزيف.

لقد فسدت قلوب ملوك الطوائف وابتلوا بالنفاق ما أثر على ابتعاد الناس عـــن شرع الله[4].

4/ لقد كانت ممالك الأندلس مليئـــة بالاعتـــداءات علـــى الأنفـــس والأمـــوال والأعراض، وتعطلت أحكام الله فيما بينهم، ونشبت حروب وفتن وبلايا تولدت علـــى أثرها عداوة وبغضاء أنزل عنها حتى بعد زوالهم.

5/ وبسبب الابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ســـهلت مهمة النصارى في الأندلس فأصبحت شوكتهم تقوى وتحصلوا على مكاســـب كبيـــرة وغاب نصر الله عن ملوك الطوائف وأهل الأندلس وحرموا من التمكين، وأصـــبحوا في خوف وفزع من أعدائهم وبعض المدن تبتلى بالجوع بسبب حصار النصارى لهم، وكم قتل النصارى من المسلمين وسبوا من نسائهم.

6/ إن الابتعاد عن شرع الله في الأندلس ترتب عليه انقاص الأرض وضـــياع الملك. وتسلط الكفار وتوالي المصائب.

7/ إن من سنن الله تعالى المستخرجة من حقائق الدين والتاريخ إنه إذا عصى الله تعالى ممن يعرفونه سلط عليهم من لا يعرفونه، ولذلك سلط الله النصـــارى علـــى المسلمين في الأندلس، وعندما تحرك الفقهاء وبعض الملوك استنفروا بـــإخوانهم فـــي

---

(4) الصلابي، فقه التمكين، مرجع سابق، ص 120.

الدين، والتفوا حول الشريعة نصرهم الله على الأعـداء وخلصـهم الله مـن ملـوك الطوائف.

8/ إن الذنوب التي يهلك الله بها القرون ويعذب بها الأمم قسمان:

1- معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به.

2- كفر النعم بالبطر والأسر وغمط الحق، وظلم الضـعفاء ومحابـاة الأقويـاء والإسراف في الفسق والفجور[1].

المبحث الثاني

موقعة أقليش وسرقسطة (انظر ملحق رقم (4)

الجواز الرابع للأمير يوسف في الأندلس:

لم يعد يوسف إلى شبه الجزيرة إلاّ بعد عدة أعـوام فـي سـنة (496هـ- 1102م)[1] ، حيث جاز إليها جوازه الرابع وفي رواية أخرى في سنة (491هـ - 1097م) [2]، وكان قد عهد بأمور الأندلس إلى كبير قادته سبر بن أبي بكـر والتقـى

(1) الصلابي، فقه التمكين، مرجع سابق، ص 120 - 121.

(1) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، ص 371..

(2) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 107 - 112..

بالقشتاليين بقيادة الفونس (السادس) قرب كنترة (Consuegra) فــانهزم الجــيش القتشتالي متكبداً خسائر كبيرة سنة (491هــ ــ 1097م) [3].

واتخذ جواز أمير المسلمين هذه المرة طابع الجهاد من جديد، فجهز جيشاً قوياً من المرابطين والأندلسيين بقيادة محمد بن الحاج وسار هذا الجيش صــوب طليطلــة مخترقاً أراضي قشتالة، والتقى بالقتشتاليين بقيادة ملكهم الفونسو علــى مقربــة مــن كونسو يجرا فهزم النصارى هزيمة فادحة وفر الفونسو في فلوله نحــو كونســويجرا والتجأ إليها وحاصره المرابطون بها بضعة أيام ثم انصرفوا (أغســطس 1097م) [4]. وقصد يوسف إلى قرطبة لينجز المهمة التي قدم من أجلها وهي البيعة لأبنــه علــي وكان قد استقدمه معه هو وأخوه الأكبر أبو الطاهر تميم.

تمت البيع بمدينة قرطبة سنة 496هــ[5]. فبايعه جميع أمراء لمتونة وفقهائها وأشياخها وكان على بسبتة التي ولــد فيهــا ولم يكن علي كبير إخــوانه.

وكان يوسف بن تاشفين يخشى معارضة المصامدة حيث أوصى ابنه علياً قبل وفاته بوصايا ثلاث تتلخص في الآتي[6]:

1- ألا ينال سكان الأطلس ومن وراءه من المصامدة بسوء.
2- أن يهادن بني هود وأمراء سرقسطة من ملوك الطوائف التي أسسها سليمان بن محمد بن هود بن الجزامي أحد قادة الثغر الأعلى.
3- أن يحسن إلى أهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم، وقد اشتهروا بثوراتهم علــى الدول التي تعاقبت على حكم الأندلس، لأن عدداً كبيراً من أهلها كــانوا مــن المولدين والفقهاء الذين تزعموا هذه الثورات.

ولاية أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين:

---

(3) مجهول: الحلل الموشية ، مصدر سابق، ص 55.
(4) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 107 - 108..
(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 521..
(6) مجهول: الحلل الموشيه، ص 60. حسن إبراهيم حسن ، ص 121. الصلابي التمكين، ص 118.

تلقب بلقب أبيه أمير المسلمين، وسمى أصحابه المرابطين وجرى على سنة أبيه في إيثار الجهاد. وإخافة العدو وحماية البلاد، وكان حسن السيرة جيد الطوية، نزيه النفس بعيداً عن الظلم(1).

ولأول ولايته وقعت ثورة محلية لم تكن على شيء من الخطورة، أتته البيعة من سائر البلاد إلاّ من فأس، عاصمة المغرب القديمة، وقد كان واليها حفيده يحي بن الأمير بن أبي بكر أخ علي المتوفى، فرفض أداء البيعة لعمه، فبادر علي بالسير في بعض قواته إلى فآس. فتخشى يحي البادرة على نفسه وفر إلى المدينة ودخلها علي بن يوسف في ربيع الآخر سنة 501هـ ، وأخمدت هذه الثورة الصغيرة في مهدها(2).

ولم يكد علي يفرغ من قمع الثورة في فأس حتى أزمع الجواز إلى الأندلس لتفقد أحوالها وتنظيم شؤونها، فخرج من مراكش في جيش من المرابطين ومصمودة وعبر البحر من شبه الجزيرة الخضراء منتصف سنة (500هـ) أوائل سنة 1107م، وهناك بادر إليه زعماء الأندلس ورؤساؤها وقضاتها وفقهائها، فقدموا إليه بيعتهم وطاعتهم(3).

وقام بإجراء طائفة من التغييرات الإدارية الهامة، فعزل أخاه أبا الطاهر تميم عن ولاية المغرب، وعين لولاية غرناطة بالأندلس، وجعله قائداً أعلى للجيوش المرابطية وعين لولاية قرطبة أبا عبد الله محمد بن أبي بكر المتوني.

وعين لولاية المغرب أبا عبد الله محمداً بن الحاج، والياً على فاس وسائر أنحاء المغرب زهاء ستة أشهر، ثم عينه على ولاية بلنسية شرق الأندلس، ومن بلنسية إلى سرقسطة ودخلها في سنة (502هـ ــ 1109م) (1). بقوة مرابطية، ولما عاد إلى المغرب كتب إلى أخيه تميم والي غرناطة، وقائد الجيوش المرابطية بالأندلس، أن يستأنف الجهاد وأن يغزو أرض النصارى وكانت غرناطة قاعدة الحكم

---

(1) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 235.
(2) عبد الله عنان: عصر المرابطين، ص 59.
(3) مجهول، الحلل الموشية، ص 62.
(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، مصدر سابق، ص 103.

المرابطي لم يصدر على أمره باستئناف الجهاد عفواً فقد كان ثمة ما يبرره ويستدعيه، ذلك أنه لما مرض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في سنة 498هـ، نقلت الأخبار إلى ملك قتشتالة، واعتقد الفونسو أن الفرصة قد سنحت له ليستأنف غزواته في أراضي المسلمين فبعث بحملة من ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل، سارت نحو أحواز إشبيلية، وعاثت فيها، واستولت على الكثير من الغنائم والسبي، فخرج الأمير سير بن أبي بكر والي إشبيلية في قواته لرد الغزاة، ولحقت به عساكر غرناطة بقيادة أبي عبد الله بن الحاج واليها وطارد المسلمون القتشاليين وردوهم على أعقابهم وقتلوا منهم نحو ألف وخمسمائة[2].

موقعة أقليش[*] : Acles [3]:

صدع تميم بأمر أخيه، وجهز جيشاً حسن الأهبة، وخرج من قرناطة في العشر الأخير من شهر رمضان سنة (501هـ) [4]، أوائل مايو سنة (1108م)، وسار في قواته شمالاً صوب جيان وكانت الجنود والأمراء تهرع إليه في طريقه، ولبث في جيان أياماً قلائل، حتى وافته حشود قرطبة بقيادة واليها أبي عبد الله محمد بن أبي رنق، ثم سار إلى بياسة شمال شرق جيان، واتجه منها شمالاً صوب أراضي قشتالة وانضمت إليه في الطريق حشود مرسية بقيادة واليها، أبي عبد الله محمد بن عائشة، وحشود بلنسية بقيادة واليها محمد بن فاطمة واخترقت القوات المرابطية أراضي قشتالة وعاثت فيها، ثم اتجهت صوب بلدة أقليش الحصينة وهي التي وقع الاختيار على مهاجمتها فوصلت إلى ظاهرها في يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال (27 مايو)[1].

---

(2) ابن عزارى: البيان المغرب، ص 64 – 65.

(*) أقليش : من أعمال طليطلة أيام العرب، أقليش في شكيب ارسلاني: الحلل السندسية، ج2، نشر مكتبة الحياة. ص 45.

(3) محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين، مرجع سابق، ص 61.

(4) سلمى الخضراء، الحضارة العربية في الأندلس، مرجع سابق، ص 114.

(1) محمد عبد الله عنان: عصر الطوائف، مرجع سابق، ص 61.

كانت أقليش في ذلك العصر من أمنع معاقل كورة شنترية، وهي مرحلة حصينة، تقع في شمال جبال طليطلة وجنوب غربي وبذة أنشأها الفتح بن موسى بن ذي النون في أواخر القرن الثالث الهجري.

كانت أقليش ضمن القواعد والحصون العديدة التي استولى عليها القشتاليون نتيجة لانفتاح مملكة طليطلة.

توجه الهجوم الأول نحو مدينة أقليش الحصينة، وحشد له جند من جميع المدن الأندلسية بينهم جند نظاميون وآخرون متطوعون جرت المعركة على مرحلتين[2]:

المرحلة الأولى : تقدم نحو المدينة جند قرطبة وحدهم، فاستقل الأسبان عددهم واستعانوا بقوتهم خاصة وإن المدينة تلقت إمدادا بجيش ضخم يضم سبعة آلاف فارس على رأسهم الفونسو السادس وسبعة من كبار نبلاء المملكة، حتى أن المصادر الأسبانية تدعو المعركة بمعركة القوامس السبعة، فخرجوا إليهم وهاجموهم، فارتد هؤلاء إلى الخلف متراجعين بينما قام جند من المرابطين من المدن الأخرى الذين كانوا يهمون بالخروج من مكانهم واحتلال مقر قيادة الجيش الأسباني (المحلة) وضربه من الخلف بينما توقف جند قرطبة وارتدوا عليه وجابهوه، فتمزق الجيش الأسباني وفرت فلوله المتبقية لتحتمي في حصن أقليش ريثما تتوفر لها فرصة النجاة والهرب، فأوهمهم المرابطون بالابتعاد والتوارى عن الأنظار ثم إقامة الكمائن على مقربة، بأن الفرصة حانت وعند خروج الأسبان من الحصن أحيط بهم وقتل أكثرهم[1].

أهم شخصية مثلت في تلك الحملة كانت شخصية الأمير الصبي سانشو ولد الفونسو السادس وولي عهده وهو الذي رزق بت زائدة حظيته أو زوجته المسلمة المستنصرة.

---

(2) أحمد بدر: تاريخ الأندلس، أحمد بدر، ص 238 - 239.

(1) ابن القطان، علي حسن بن أبي الحسين علي: تحقيق د. محمود علي مكي، الرباط، ج6، ص 5-7.

ويشيد صاحب روض القرطاس أن زوجة الفونس أشارت عليه أن يوجه ولده عوضاً عنه فيكون مقابلاً لتميم لأن تميم بن ملك المسلمين شانجة ابـــن ملـــك الـــروم فسمع منها فبعث ولده شانجة في جيوش كثيرة من زعماء الروم وأنجادهم.

زحف الجيش القشتالي لإنجاد قلعة أقليش في عصر الخميس 15 شـــوال (28 مايو) كانت الأنباء ترامت عن قرب مقدمه إلى المعسكر المرابطي، يقـــول صـــاحب روض القرطاس أن تميم حين علم باقتراب القشتالين أراد الارتداد لكن نصحه محمـــد بن عائشة ومحمد بن فاطمة وغيرهما من قواد لمتونه بالبقاء وملاقاة العدو، فنزل تميم عند هذا النصح[2].

المعـــركة: (انظر ملحق رقم (3)

في فجر يوم الجمعة 16 شوال سنة 501هـــ الموافق 29 مايو سنة 1108م بـــدأت طلائع المعركة وتقدم المرابطون قليلاً تجاه أقليش للقاء القشتالين وأقبل القشتاليون يقـــودهم البارهانس وغرسية أردونيت كونت دى فيرة، وكونتات طليطلة وبينهم الأمير الفتى سانشو فوق فرسه، وقد ارتدى حلة الفرسان وبدأ الهجوم ووقعت الصدمة الأولى ضد قوات قرطبة

---

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، مصدر سابق، ص 104.

وقائدها ابن أبي رنغي[*]، فارتد للوراء، وتقدمت قوات بلنسية مرسية وتقدم تميم في قواتــه إلى قلب المعركة ونشب بين الفريقين قتال بالغ العنف يصفه لنا تميم بقوله :(فعنــد ذلــك اختلطت الخيل، بل سال السيل، وأظلم الليل واعتقت الفرسان واندقت الخرصان، ودحا ليل القتال، وضاق مجال الجيش الهمام، واختلط الحسام بالأجسام، والأرماح بالأشــباح ودارت رحى الحرب تغر بنكالها وثارت ثائرة الطعن والضرب تفتك بأبطالها) [1].

اذدلف الأمير الصبي[2]. سانشو ابن ملك قشتالة إلى قلب المعمعــة فأحــاط بــه الفرسان المسلمين وتوالت عليه الطعنات وحاول الكونتان السبعة الفرار فلحق بهم وقتلوهم عن آخرهم.

استشهد[3]. في وقيعة أقليش الإمام الجزولي وكان رجــل صــدق وجماعــة مــن الأعيـــان.

توفى الفونس[4]. بعد حوالي عام اثنين وخمسمائة من هذه المعركة، وغرقت دولته في مشاكل وراثة العرش، وربما أسهم هذا في تحقيق المرابطين لانتصار آخر أكبــر مــن الانتصار الأول بعد أقل من عامين[5].

يبدو أن عدد السبايا في معركة أقليش (501هــ ــ 1107م)، كان من الوفرة إلى حد أن المرابطين كانوا يتسابقون بهدايا السبايا وخلال جواز الأميــر المرابطـــي علــــــــــــــــــــــــــــــــــى بــــــــــــــــــــــــــــــــــن

يوسف إلى الأندلس سنة 503هــ ــ 1109م، دخل طليطلــة ووقــع فيهــا النهــب والسبي[1].

(*) ابن أبي رنغي، كان رابع عامل للمرابطين على قرطبة، مجهول ، مفاخر البربر، مصدر سابق، ص 81.

(1) سعد زغلول: المغرب العربي، ص 649..
(2) محمد عبد الله عنان: عصر الطوائف، مرجع سابق، 65. الإسلام في المغرب والأندلس، ليفي بروفنسال، ص 151-164.
(3) عبد الرحمن حجي، التاريخ الأندلسي، ص 425.
(4) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 5.
(5) حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي، عصر المرابطين، ص 37.

موقعــة سـرقسـطة:

غداة عبور المرابطين الأول إلى الأندلس كان الفونسو السادس محاصــراً لمدينــة سرقسطة، التي صمدت ببسالة أمام ضرباته[2] ، وقد عهد ملك النصارى إلى سياسة الدهاء والحيلة من أجل أضعاف روح المقاومة في نفوس أهلها[3] . شدد الفونسو السادس الحصار على المدينة وذلك من أجل السيطرة عليها حتى يتفرغ لمحاربة المرابطين فلم يفلــح مــن اقتحامها وطلب من ملكها المستعين بن هود (478 ــ 503هــ)، المال الذي رفضــه فــي البداية عندما فاوضه المستعين على ذلك.

ولما كانت مملكة سرقسطة تتصل اتصالاً مباشراً بحدود ممالــك النافــار وليــون وارغون وبرشلونه النصرانية جعلها هذا الأمر تتحمل عبء المقاومة التــي شــنتها هــذه الممالك على الأراضي الإسلامية المجاورة[4]. ولهذا عبر المرابطون إلى الأندلس لأول مرة ولم تشترك قوات مملكة سرقسطة في حروب الجهاد وبذلك يروي أن المستعين كاتب يوسف ليبرر له عدم مشاركته في حرب الزلاقة[5].

بدأت مشاريع ملك أرغون تزداد خطراً على منطقة الثغر الأعلــى. حيــث قــرر الاستيلاء على مدينة وشقة المدينة الثانية بعد سرقسطة وابتنى ازاءها حصناً يكــرر منــه الهجوم على المدينة بغية الاستيلاء عليها[6].

أصبح المستعين بن هود أمام الأمر الواقع بسبب ضغط ملك أرغون وهجمات القوى النصرانية التي كانت تتقدم نحو حوض نهر الايرو بعد معركة[7]. الزلاقة فرأى ضرورة الاستعانة بالمرابطين وتنفيذاً لهذه الفكرة، أرسل له (الحاجب عماد الدولة عبد الملك). على رأس وفد إلى يوسف بن تاشفين بالمغرب ومعه هدية جميلة وبعث لــه يطلب العون لإنقاذ مدينة وشقة.

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج4، ص 52.
(2) عثمان، مواقف حاسمة، في تاريخ الإسلام، القاهرة، 1952م، ص 175.
(3) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 91..
(4) حسين مؤنس، الثغر الأعلى، ص 200.
(5) مجهول ، الحلل المونية ص 60.
(6) عنان، دول الطوائف، ص 288.
(7) عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص 88.

أدرك يوسف حراجه موقف المستعين بالله كما أدرك أهميـــة بقـــاء سرقســـطة حاجزاً بين المرابطين والمملكة النصرانية[1].

بعث يوسف[2] إلى ولاته في شرق الأندلس يأمرهم بإرسال المدد والعون إلـــى المستعين وفي الوقت نفسه طلب المستعين العون من ملك قشتالة الفونســـو الســـادس الذي أمره بفرقة من النصارى بقيادة الكونت غرسيه[3] أردونس شدد ملـــك أرغـــون الحصار حول مدينة وشقه التي صمدت ببسالة أمام الحصار[4]. وفي أثناء ذلك مـــات ملك ارغون (سانشوراميرث عام 487هــ ــ 1094م) بسبب جرح خطيـــر أصـــابه خلال معارك الحصار[5]. فاستمر ولي عهده وولده بـــدرو الأول (1096 ــ 1104م) في الحصار يعاونه أخوه الثاني الفونسو.

استغاث أهل وشقة بالمستعين الذي أسرع بقواته لنجدة المدينة تساعده قـــوات نصرانية بقيادة اردونس الذي وصف بقمبيطور[6]. آخر فلما رأى ملك أرغون (بدرو الأول) هذه النجدة سار إليها وأوقع الهزيمة بها في معركة (الكراة) على مقربة مـــن وشقة وقد قتل الكثير من المسلمين كما قتل قائد جيش قشتالة وذلك في ذو القعدة عـــام (489هــ ــ 1096م)، وبعد هذه الهزيمة يئس أهل وشقة من النصر وسلموا المدينة بعد ثلاث أيام إلى ملك أرغون الذي دخلها في موكب فاخر وحول مسجدها كنيسة[7].

بعد دخول المرابطين مدينة بلنسية (495هــ) أدرك المستعين خطورة وضـــعه أمام المرابطين.

أثناء تواجد يوسف بن تاشفين في الأندلس عام 496هــ شعر ابن هـــود بـــأن مصير مملكته قد أصبح رهناً بخطط المرابطين المقبلة فقرر التقرب إلى يوسف بـــن

(1) أشياخ . تاريخ الأندلس، ص 104.
(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ص 104.
(3) عنان، دول الطوائف، ص 288.
(4) ابن الكربوس، تاريخ الأندلس، ص 100.
(5) أشياخ . تاريخ الأندلس، ص 100.
(6) عنان، دول الطوائف، ص 289.
(7) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 163 ، أعمال الأعلام، ص 172. نفح الطيب، ج1، ص 441.

تاشفين، فأرسل ولده عبد الملك إلى قرطبة بهدية ثمينة من جملتها أربعة عشر ربعاً من أنية الفضة مطرزة باسم جده المقتدر فقبله الأمير وأمر بضربها قراريط وفرقها على رؤساء المرابطين في ليلة عيد الأضحى، وحضر عبد الملك حفل البيعة لعلي بن تاشفين ثم عاد إلى سرقسطة[1].

نظم يوسف بن تاشفين أمور الأندلس ورجع إلى بلاد المغرب بعد أن أوصى بممارسة الجهاد ضد النصارى.

شدد الفونسو السادس هجومه على منطقة سرقسطة مما جعل المستعين بن هود يطلب العون من يوسف لدرء خطر النصارى، فأمده بألف فارس بقياد ابن فاطمة[2]. الذي هاجم أراضي قشتالة وغنم الكثير ورجع إلى بلاده في عام 497هـ[3].

تحالفت القوى النصرانية بزعامة ملك البرتغال (انريكي دي بورجينا) وهو هنري البرجوني توفى عام (505هـ ـ 1112م) [4]، والفونسو الأول المحارب ابن ردمير ملك ارغون والنافار (499 ـ 529هـ) ، (1104 ـ 1134م) في السيطرة على أهم القواعد في الثغر الأعلى فحاصر هذان الملكان مدينة تطيلة فأسرع لنجدتها ملك سرقسطة المستعين بن هود ووقعت بين الجانبين معركة عنيفة عند مدينة بلتيرة[5]. انهزم فيها السلمون وقتل المستعين بن هود في أول رجب عام (503هـ ـ 24 يناير 1110م) [6].

بعد مقتل المستعين خلفه في حكم سرقسطة ولده عماد الدولة عبد الملك، وقد بايعه أهل سرقسطة على شرط أن يترك[1] محالفة النصارى، وقد طمع القائد

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 65..
(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 44.
(3) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 113.
(4) علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس والممالك الإسلامية، خليل إبراهيم صالح البشير، اشراف أحمد السيد دراج، 1979م، ص 242. رسالة دكتوراه، القاهرة.
(5) الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، (ت 520هـ)، سراج الملوك، القاهرة، 1289م، ط بولاق، ص 330.
(6) ابن القطان، نظم الحمان، ج2، ص 8.
(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 53

المرابطي (أبو محمد عبد الله بن فاطمة) حاكم بلنسية السيطرة على مدينة سرقسطة، وسار إليها بالفعل، ولما وصل على مقربة منها خرج إليهـا أهلهـا والتمسـوا منـه الرجوع خشية وقوع الفتنة، ومن ثم خشية استعانة عبد الملك الحاكم الجديد بالنصارى فرجع عنها[2]. وبعد ذلك نقل ابن فاطمة من ولاية بلنسية إلى ولاية غرناطة (503 ــ 504هــ) [3].

إزاء خطر المرابطين هذا تحالف عبد الملك بـن هـود مـع الفونسـو الأول المحارب ملك أرغون والنافار ضارباً عرض الحائط بأهل سرقسـطة الـذين كتبـوا بدورهم إلى علي بن يوسف في مراكش ينادوه لخلع بني هود.

دخول المرابطين مدينة سرقسطة عام 503هــ:

بعث على بن يوسف إلى قائده محمد بن الحاج وآلي بلنسية الجديـد وأمـره بالسير إلى سرقسطة ولما علم عبد الملك بن هود بالأمر، أرسل إلى علي بن يوسـف رسالة يستصرخه فيها ويذكره بما كان بينه وبـين والـديهما مـن أواصـر المـودة والإخلاص. [4].

ويعترف له بأنه لم تصدر منه أية إساءة وأنه من الخير أن يتـرك سرقسـطة على حالها لتكون حاجزاً بين قوات المرابطين وقوات النصارى فرق على بن يوسف وتأثر بهذه الرسالة، وكتب إلى قائده أن يعدل عن هذه المهمة[5].

---

(2) ابن القطان، نظم الجمان، ج2، ص 8.
(3) ابن الأبار، الحلة السبراء، ج2، ص 213.
(4) عنان، دول الطوائف، ص ، 292.
(5) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 438.
الحلل الموشية، مصدر سابق، ص 81 - 82.

إلاّ أن كتاب علي بن يوسف وصل إلى وآلي بلنسية وقد أدخلته الرعية مدينة سرقسطة[1]. في صبيحة يوم السبت العاشر في ذي القعدة عام (503هـ ــ 1110م) وبذلك دخلت سرقسطة في حوزة أملاك المرابطين[2].

غادر عبد الملك بن هود سرقسطة بأهله وأمواله واستقر في حصن روضة المنيع يترقب الحوادث، وأسس هناك إمارة تحت حماية الفونسو الأول المحارب ملك أرغون والنافار إلى أن توفى عام (524هـ ــ 1130م) [3].

---

(1) الحلل الموشية، مصدر سابق، ص 82..
(2) ابن الأبار، الحلل السيراء، ج2، ص 248.
(3) ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 438.

المبحث الثالث

موقعة طلبيرة ، وموقعة قُتندة ، موقعة افراغة

طلبيــرة:

كانت طلبيرة من الأعمال الشهيرة التي كانت مضافة إلى طليطلة فـــي زمـــان العرب طلبيرة (Telaveva) وهي على مسافة 135 كليومتر من مجــريط وســكانها اليوم أحد عشر ألف نسمة[1].

بينها وبين وادي الرمل (35) ميل وهي أقصى ثغور المسلمين وهي باب مـــن الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين، وهي قديمة أزلية، على نهــر تاجـــة، وهي من الجزء الثالث من قسمة قسطنطين، وهي مبنية على جبل عظيم، يخرج مـــن تحته عين خرارة يطحن على جريها (20) رحى، وهي مدينة كبيرة وقلعتهـــا أرفـــع القلاع حصناً، ومدينتها أشرف البلاد حسناً، وبلد واسع الساحة كثيرة المنـــافع، بهـــا أسواق وديار حسنة، وبينها وبين طليطلة سبعون ميلاً[2].

سارت الجيوش المرابطية صوب طليطلة عاصمة مملك قشتالة وهي تمني النفس بإرجـــاع هذه المدينة إلى حكم المسلمين خاصة بعد موت ملكها القوي، وحاصرت فـــي أول أمرهـــا مدينة طلبيرة غربي طليطلة ودخلوها وخلصوا على من كان فيها من أسرى المسلمين[3].

ولجأت جماعة من النصارى المحاصرين إلى قصبة المدينة، ثم رموا أنفسهم فـــي النهر نهر التاجة ليلاً ناجين بأنفسهم، فاستولى المرابطون على القصبة وسيطروا على كـــل ما في المدينة من المتاع والسلاح وردوا كنيستها جامعاً وعين لها حاكمـــاً وزود بحاميـــة قوية[4]. وقد تم هذا الأمر في شهر صفر وربيع الأول عام 503هـــ[5].

---

(1) الأمير شكيب أرسلان: الحلل السندسية، في الأخبار المراكشية، فأس المغرب، 1352هـ 1936م، ج2، ص 43.
(2) الحميري: الروض المعطار، مصدر سابق، ص 395.
(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مصدر سابق، ج3، ص 254..
(4) بن عذارى، البيان المغرب، مصدر سابق، ج4، ص 52.
الحلل الموشية، مصدر سابق، ص 70.
(5) ابن القطان، نظم الجمان، مصدر سابق، ص 13.

موقعـة طلبيـرة:

كانت مدينة طلبيرة حاجزاً بين المسلمين والنصارى وكان لفتحها أهميته فـي انسياب القوات المرابطية إلـى الحصـون والمـدن الأخـرى المحيطـة بمدينـة طليطلـة[1].

رحل على بن يوسف بقواته عن طلبيرة[2]. ويمم شطر طليطلـة فاتحـاً فـي طريقه الحصون والقلاع الواقعة في احواز طليطلة، ثم اسـترجع طريـق (مدريـد) ووادي الحجارة وقصد بذلك مدينة طليطلة وضرب حولها الحصار[3].

تبدو لنا أهمية هذه الحملة في قيادة علي بن يوسف لها، منتهزاً فرصة الحرب بين الفونسو المحارب وزوجته أوراكا[4] وشاركه في هذه الحملة يحيى بن أبي بكـر بني علي بن يوسف وعز الدولة أبو مروان عبيد الله بن المعتصم بن صمادح ويروي لنا أنه لما شارفت قوات الأمير يحي مدينة طليطلة سقط أحد ألويته من يـده فانكسـر الرمح، فتطير قوم وتفاءل آخرون.

خلال الأعوام 509 ــ 520هـ[5]. شغلت القوات المرابطيـة فـي الأنـدلس بمجاهدة مملكة أرغون والنافار ــ فقلما نجد خلال هذه الفترة حملات مرابطية ضـد نصارى قشتالة، حتى تخبرنا بعض الروايات عن عبور الأمير تاشفين بن علي إلـى الأندلس عام 520هـ، وبدأ معاركه الجهادية في غربي الأندلس (البرتغال) [6].

كما أنه صد هجوماً للقوات القشتالية عام (522هـ ــ 178م) عنـدما وصـل زحفهم إلى (جبال الكرس) على مقربة من قلعة رباح فهزمهم الأمير تاشفين وردهـم خائبين إلى بلادهم[7].

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص 53.
(2) بن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 52.
(3) محمود علي مكي، وثائق مرابطية جديدة، ص 139 - 140.
(4) ابن الأبار، الحلة السبراء، ج2، ص 90
(5) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 61.
(6) ابن أبي زرع: روض القرطاس، مصدر سابق، ص 107.
(7) عنان عصر المرابطين، مرجع سابق، ص 133.

بعد معركة القلاعة عام 523هــ وهزيمة المرابطين فيها عين الأمير تاشــفين بن علي قائداً للقوات المرابطية[1] في الأندلس فعنى بالجيــش وتأهــب للجهــاد[2].

ففي عام (523هــ ــ 1129م) أرسل الأمير تاشفين جــيش اشــبيلية بقيــادة (واجدي بن عمر بن سيد اللمتوني) إلى منطقة طلبيرة فسيطر هذا الجيش على عــدة حصون وأثناء رجوعه تعقبه خمسون فارساً من النصارى فتهاون بعددهم ثم لحقهــم ركب آخر، ولم يحفل بهم أيضاً حتى لحق بهم جمع ثالث فبلغوا (300) فارس فقاتلوا الجيش المرابطي فانهزموا وأسروا الكثير من رجاله وعلم علي بن يوسف بأخبار هذه الهزيمة، ألزم قائد الجيش بدية وعزله عن ولاية اشبيلية، وولى مكانــه الأميــر أبــو زكريا يحي بن علي الحاج[3].

وفي عام (524هــ ــ 1130م) انحدرت القوات القشتالية جنوباً حتى أصــبح قريباً من قرطبة فاستنجد واليها بالأمير تاشفين فسار إليها مسرعاً، فــانهزم الجــيش النصراني وسار بعدها تاشفين إلى مدينة جيان وبعدها رجع إلى غرناطـــــة[4].

---

(1) ابن الخطيب، الأحاطه، ج1، ص 456 - 457...
(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 80.
(3) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 80.
عصر المرابطين والموحدين، ص 133.
(4) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 81.

معركة قتندة (514هـ) : أو كتندة : (Gutanda)

كانت أنباء سيطرة الفونسو الأول المحارب على قواعد الثغر الأعلى والمحن التي نزلت بأهله تتوالى إلى أسماع علي بن يوسف، فاهتم بهذا الأمر وكتب إلى أخيه أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين والي الاشبيلية، بتجهيز الجيوش والمبادرة إلى السير إلى قتال أرغون ووضع حد لعداوته وكتب في نفس الوقت إلى القادة بالأندلس ليلتفوا بقواتهم مع أخيه وأن يكون تحت أمرته.

حشد الأمير إبراهيم قواته، ووافته قوات قرطبة بقيادة واليها (ابن زيادة) وقوات غرناطة بقيادة واليها الأمير (محمد بن تينغمر اللمتوني) وقوات مرسية بقيادة أبو يعقوب بنتان بن علي وجماعة من الرؤساء وعدد كبير من المتطوعة[1].

سار الأمير بهذه القوات صوب الشمال وكان الفونسو المحارب قد انتهى من السيطرة على قلعة أيوب وسار إلى منطقة قتندة[2]. في حيز دروقه من عمل سرقسطة[3].

وقد أخبرنا ابن الأثير[4]، أن علي بن يوسف كان في قرطبة لما أرسل هذه القوات إلى الثغر الأعلى، وأشار إلى ذلك مؤنس[5] ويعني أن علي بن يوسف عبر إلى الأندلس عام 513هـ أو عام 514هـ. ولكن يبدو أن علي بن يوسف لم يعبر إلى الأندلس إلاّ في 515هـ لتأديب أهل قرطبة وهو الجواز الرابع والأخير[6].

ولما علم الفونسو المحارب بسير القوات المرابطية جمع قواته وسار إلى قتنده وكان اللقاء بين الطرفين في يوم الخميس 24 ربيع الأول عام 514هـ أواخر

(1) عنان ، عصر المرابطين والموحدين، ص 103.
(2) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 586.
(3) ابن الأبار، الحلة السبراء، ج2، ص 118.
(4) ابن الأثير، الكامل، ج1، ص 586.
(5) حسين مؤنس، الثغر الأعلى، ص 115.
(6) مجهول ، الحلل الموشية، ص 70.

حزيران 1120م[1]، فانهزمت القوات المرابطية واستشهد من المســـلمين آلاف ومــن بينهم العديد من الفقهـــاء والعلمـــاء.

ارتد الأمير إبراهيم بن يوسف والبقية الباقية من جيشه إلى بلنسية، وكانت نكبة جديدة ساحقة للأندلس ولهيبة المرابطين العسكرية، وعلى أثر الموقعة استولى الفونسو المحارب على قلعة دروقة، وأنشأ على مقربة منها قلعة حصينة باسم "مونريـــال" [2]، لتكون حاجزاً لصد الجيوش الإسلامية التي تنساب من بلنسية ومرسية.

وفي أوائل عام (515هـ ــ 1121م) عبر على بن يوسف إلى الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة في جيش ضخم من القبائل البربرية. ويذكر أن علي بن يوسف لمـــا بلغه توالى النكبات على جيوشه في الأندلس وخاصة في معركة قتنـــدة عبـــر إلـــى الأندلس لتدارك الموقف والعمل على توطيد سمعة الجيوش المرابطية، ولكـــي يأخـــذ بثأر الهزيمة[3].

---

(1) ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، نشر كوديرة، مدريد، 1885م، ص 7.

(2) عبد الرحمن حجي، التاريخ الأندلسي، ص 431.

(3) أشياخ، تاريخ الأندلس، ص 145.

عبد الله عنان، عصر المرابطين، ص 104.

موقعة أفراغة عام 528هـ:

شغل الفونسو المحارب ملك أرغون والنافار عقب غزوته الكبــرى (519 ــ 520هــ) بالحرب مع منافسه ملك قشتالة الفونسو الســابع السـليطين ولــد زوجتــه أوراكه[1]، وقد انتهت هذه الحرب بهدنة بين قشتالة وأرغون. وبعد ذلك وجه نشــاطه العدواني صوب مدن الثغر الأعلى وخاصة مدن لاردة وافراغة ومكناســة[2]، وثغــر طرطوشة، وكان ثغر طرطوشة هدف ملك أرغون لأن الاستيلاء عليــه يحقــق لــه الاستيلاء على ما بقى من مجرى نهر الأبرو ويضمن له سلامة الملاحة في هذا النهر ويصل ما بين مملكته والبحر[3].

أعد ملك أرغون حملة كبيرة أشرك فيها الكثير من الفرسان الفرنسيين، وكــان هدفه الاستيلاء على لاردة وافراغة ومكناسة أولاً ثم الاستيلاء على طرطوشة ثانيــاً فبدأ زحفه إلى مدينة مكناسة وهاجمها بشدة، فاضطرت إلى التسليم بعد مقاومة عنيفة وذلك في أواخر عام 527هــ حزيران 1133م[4]، وزحف بعد ذلــك إلــى مــدينتي افراغة ولاردة، وبدأ الزحف إلى مدينة افراغة ولم يكن الاستيلاء عليها بالأمر السهل، لموقعها الحصين. ومن جهة أخرى فقد شعر المرابطون بعنف هجمات ملك أرغــوت ومدى عبثه في منطقة الثغر الأعلى، وسائر الأندلس فقــد رأوا مــن بــاب الحيطــة والاستعداد أن يعقدوا السلم مع ملك برشلوته (رامون برنجيد الثالث) ولذلك خشية أن ينتهز الفرصة فيهاجم من جانبه فيضطر المرابطون إلى القتال في جبهتــين. فــاتفقوا على أن يؤدوا له جزية سنوية قدرها (12) ألف دينار فغضب ملك أرغون وأقسم بأنه سوف ينتزع تلك البلاد التي تؤدي عنها الجزية، ويقطع بذلك منفعتها مــن الطــرفين المتخاصمين[5].

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 81.
(2) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 522.
(3) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 121.
(4) عنان، عصر المرابطين، ص 121.
(5) بن القطان، نظم، ص 207 ، 218، 223.

بعد سقوط مكناسة[1]، بادر المرابطون في الثغر الأعلى وفي وسـط وشـرق الأندلس، إلى التأهب للدفاع عن افراغة ولاردة، فهرع الزبير بن عمرو اللمتوني من قرطبة إلى الثغر الأعلى في ألفي فارس ومعه مقادير وفيرة من المؤن وهـرع إليـه الأمير أبو زكريا يحي بن غانية وإلى بلنسية ومرسية، فـي قـوة تقـدرها الروايـة بخمسمائة فارس، وكذلك حشد عبد الله عياض وإلى لاردة قواته[2]، ولما نفدت موارد أهل افراغة بسبب حدة الحصار كتبوا إلى يحي بن غانيه يطلبـون النجـدة قبـل أن يخضعهم ملك ارغون، فسارع إليهم مـع بقيـة القـادة قبـل أن تـدهمها الجيـوش النصرانية[3].

شدد ملك أرغون الحصار على مدينة افراغة فقاومته حاميتها وأهلهـا بقيـادة واليها (سعد بن محمد[3] بن مردنش) أشد مقاومة واضطر أن يرفع الحصار أكثر من مرة ثم يعود إليه، وإزاء هذه المقاومة ضاعف الفونسو المحارب جهوده في التضييق على المدينة، وأقسم تحت أسوار المدينة أن يفتحها، وليموت دونهـا، وأقسـم معـه عشرون من رجاله، وأمر الفونسو المحارب أن تأتي رفات القديسين إلـى المعسـكر لاذكاء حماسة الجند. وأن يتولى الأساقفة والرهبان قيادة الصفوف أسـوة بالكونتـات قادة الجيش[4].

نشبت بين المرابطين والنصارى تحت أسوار افراغـة معركـة مـن أعنـف المعارك في الثغر الأعلى، وقد قدرت الروايات الجيش الإسلامي بعشرة آلاف فارس، والجيش النصراني باثني عشر ألف فارس ووقع بين الفريقين قتال مـروع، وأبـدى المسلمين بقيادة بن غانية ضروباً رائعة من البطولة، قابلهم النصارى بنفس البطولـة

---

(1) ابن الأبار، الحلة السيراء،ج2، ص 205.
(2) ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 33.
(3) ابن القطان، نظم الحمان، ص 218 - 223.
(*) محمد بن مردنيش : هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد صحاب المرية، بن الآبار، الحلة السيراء، ص 236.
(4) أشياخ، تاريخ الأندلس، ص 164 - 165.

بقيادة ملك ارغون وأثناء اشتداد المعركة خرج أهل افراغة وهجموا علـــى المعســـكر النصراني من الخلف، فاشتد الأمر على النصارى وكثر القتل فيهم وهلك الكثير مـــن القادة وأصيبوا بهزيمة نكراء لم يصبهم مثلها منذ موقعتي الزلاقة وأقليش[1].

وغنم المسلمون على عتادهم وسلاحهم وذلك في :(23 رمضان عام 528هـــ ـــ 17 تموز 1134م) [2].

انهزم الفونسو المحارب[3]، ولجأ إلى دير القـــديس (فـــوان دي لابتيـــا) فـــي سرقسطة وتوفى غماً لثمانية أيام فقط بعد المعركة، وذلك في :(تموز 25/ 1134م)، وقد كان لنصر المسلمين في افراغة صدى عميق في سائر أرجاء الأندلس، وعـــادت سمعة المرابطين العسكرية إلى سابق مكانتها. وذاع صيت يحـــي بـــن غانيـــه قائـــد المرابطين في ذلك اليوم المشهود.

---

(1) الحميري الروض المعطار،مصدر سابق، ص 24.
(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 254.
ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 34.
(3) أشياخ، تاريخ الأندلس، ص 165.

الفصل الخامس

سقوط دولة المرابطين

المبحث الأول : الأسباب الدينية والاجتماعية

المبحث الثاني : الأسباب الاقتصادية

المبحث الثالث : الأسباب السياسية

المبحث الأ[illegible]

الأسباب الدي[illegible]تماعية

الأسباب الدينية :

1/ الفقهاء :

احتل الفقهاء في العصر المرابطي مكانتهم ضمن الطبقة الخاصة سيما وأن دولة المرابطين قامت على أساس ديني ودعوة إصلاحية، واتسمت بمسحة دينية واضحة جعلت للفكر الديني وأصله مكانة متميزة ويتضح ذلك جلياً منذ قيام دولتهم بعد تحالف فقهاء المالكية مع الأمراء المرابطين فاعتبروا بمثابة المنظرين الأساسيين لتوجهات الدولة [1] . فنالوا قدراً كبيراً من الاحترام والتقدير من جانب الأمراء، منذ الوهلة الأولى وكان الفقيه أبوبكر المرادي من أوائل الفقهاء الذين التحقوا بالبلاط المرابطي حيث اتصل بالأمير أبو بكر بن عمر واستطاع أن يكسب ثقته فاتخذه له وزيراً ومشاوراً ومعلماً له وكاتباً، وتعد مناهجه أهم عناصر أصول الحكم، فألف له كتاب السياسة في تدبير الإمارة[2] كما عرف يوسف بن تاشفين من بعد تعلقه بالفقهاء مؤثر، لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم حتى أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي، لما سمع ما عليه من الأوصاف الحميدة وتقديره للعلماء عزم على التوجه إليه غير أنه تراجع على ذلك لما سمع بوفاته[3].

وعلى نفس المنهج سار ابنه علي حيث اشتد إيثاره لهم لدرجة أنه لا يصدر أمراً في جميع مملكته إلاّ بعد العودة إلى الفقهاء، ومما يزيد في تأكيد ذلك أن علياً كان إذا ولي أحد من قضاته كان يحثهم بعدم استصدار الأحكام إلاّ بمحضر أربعة من الفقهاء[4].

---

(1) سدى بن مناه، الكتابة والسياسة عند قاضي المرابطين أبي بكر المرادي الحضرمي قراءة مغايرة لمصادر كتابة الإشارة إلى أدب الأمارة، جامعة نواكشوط، 1999م، ص 83.
(2) عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومنهل الموحدين، دار العربي الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 13/12.
(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص 481 - 482.
(4) المراكشي، المعجب، ص 121.

ولم يذل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته فعظم أمر الفقهاء وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم[5].

ملك الفقهاء الكثير من الضياع[1]. ويتبين ذلك بوضوح ما اكتسبه الفقهاء من الأموال وسعة الحال فابن القاضي[2] يشير إلى أن الفقيه محمد بن عبد الله بن الجد، نال دنيا عريضة واستفاد ثروة عظيمة، وإليه كانت رئاسة بلده ونظراً لما بلغوه من الثراء الفاحش، فإن بعض منهم انفق بعض أمواله في بناء المساجد ووقف الديار عليها ومنهم من تبرع بأمواله الخاصة لبناء سور اشبيلية[3].

وقد انعكس هذا الثراء على حياتهم ومعيشتهم وتملكهم الدور والقصور وركبوا فاره [4]. الدواب، وتسروا بالنساء[5] والبعض منهم اتخذ الرشوة سبيلاً له. وحسبنا [6].في ذلك أن الفقيه أبو غالب العبدري أطلق أخاه من السجن بمالقة بألف دينار رشوة[7].

وتجلى دور الفقهاء خاصة في استيلاء المرابطين على الأندلس عندما شرحوا أحوال الأندلس لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وبعد إخضاع الأندلس وصل بهم الحد إلى سلطة الأمير نفسه بعد أن أكدوا له أن طاعته غير واجبة حتى يأتيه التقليد من الخليفة العباس ببغداد وهذا ما يؤكده النويري في قوله :(كان الفقهاء قالوا لأمير المسلمين في الأندلس يوسف بن تاشفين أنه لا تجب طاعتك على المسلمين حتى يكون لك عهداً بالخليفة) [8].

---

(5) المراكشي، المعجب، ص 122.

(1) انظر مثلاً الضيعة التي كان يمتلكها القاضي أبو الحسن بن أضحى قاضي غرناطة، نفح الطيب، ج1، ص 675 - 677..

(2) أحمد ابن محمد بن أبي العافية المكناسي، (ابن القاضي) ط فاس، 189. ط المنصور الرباط، جذوة الاقتباس، ج1، ص 272.

(3) الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد، تذكر الحفاظ، ج4، طبعة حيدر أباد 1334هـ ، ص 88.

(4) نفح الطيب، ج4، ص 204، المراكشي، المحجب، ص 121..

(5) نفح الطيب، ج4، 204.

(6) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة قسم 4 تحقيق إحسان عباس، بيروت، ح، 196، ص 81.

(7) ابن الآبار، المرتضى من كتاب تحفة القادم. تحقيق : د. إبراهيم البياري، طبعة 1983م، ص 183.

(8) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون العرب، ترجمة جاسبارو روميرو، مج11، ج24، ص 150

أصبح الفقهاء فئة مسموعة الكلمة وسما قدر القضاة وتمتعوا بسلطان عظيم حيث أتاح لهم ولاة الأمير السلطة المطلقة والحكم الناقد الذي لا يرد وهذا ما نستشفه من وقوف القاضي ابن "الفراء" قاضي المرية في وجه الأمير يوسف بن تاشفين حيث طلب المعونة من أهل المرية على ما هو بصدده من الجهاد إذ طلب منه ابن الفراء أن يحلف أنه ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم حينئذ تجب معونته[1].

نجد أن الغزالي بين أن الفقهاء لم يهتموا إلاّ بمعرفة الفروع وحرصوا على الاستقلال بالفتوى من أجل تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام، وتقلد مناصب القضاء والحكم[2] وقد ميز بين علماء السوء وعلماء الآخرة، ووقف كثيراً عند الفتاوى في الحكومات والخصومات ولم يخرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام، ولا الرجل المسيئ إلى السلاطين وعليه فهو يتهم الفقهاء بالتحالف مع الأمراء محذراً إياهم من مخالطة السلاطين[3].

كما دعاهم إلى عدم مخالطة الأغنياء ومعاشرة الأيتام وبذلك تضاربت نصوص الأحياء مع واقع حياة الفقهاء في الدولة المرابطية التي اتسمت بالبذخ، فكان أن لقي الكتاب معارضة من طرفهم، وفهموا أن المغامزة تعنيهم مباشرة، بل تهدد النظام المرابطي برمته، وعليه فقد اعتبر الكتاب بمثابة صك اتهام موجه إلى كل الفقهاء ورجال السياسة وهذا ما يفسر الغضب الشديد الذي صبه الفقهاء عليه واتخاذهم قرار إحراقه[4].

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج 5 ، ص 475 - 476.
(2) الغزالي. كتاب إحياء علوم الدين، ج1، دار الفكر، 1980م، ص 36 - 37.
(3) الغزالي، ج3، ص 381.
(4) ابن القطان، نظم الحمان، ص 96.

واتهمهم الزعيم الروحي للموحدين المهدي بن تومرت بـأنهم عبيـد الـدينار والدراهم، والذين باعوا دينهم بعرض الدينار[5]، شكل الفقهاء شريحة اجتماعيـة لهـا وزنها في المجتمع المرابطي.

وقد اتخذ بعضهم العديد من المدن وأداروا ظهورهم للمرابطين فأسسوا كيانات مستقلة عن السلطة المرابطية نذكر (منها الفقيه ابن حمدين في قرطبة الـذي سـمى بأمير المسلمين المنصور بالله) [1].

يرى بعض المؤرخين أن التعصب الأعمى عند فقهاء المرابطين فـي زمـن الأمير علي بن يوسف كان السبب الأول في سقوط دولة المرابطين[2] ، ولقـد أسـهم فقهاء المالكية في دولة المرابطين بقسط وافر في تـذمر الرعايـا وإضـعاف شـأن الإمارة.

والضيق الفكري الذي أصاب فقهاء المرابطين وحجرهم على أفكـار النـاس ومحاولة إلزامهم بفروع الإمام مالك وحده، وكان لفقهاء المالكية نفوذ كبير[3].

كانوا يعملون على إقصاء غيرهم من الذين يلمون بهذه العلوم علـى المـذهب المالكي حتى إذا كان في هذا المسلك ما يؤدي إلى إهمال في دراسة القرآن والأحاديث النبوية الأخرى[4].

هناك من الفقهاء من كان زاهداً في الدنيا طـوال حياتـه إلـى أن وافتتـه المنيـة[5].

---

(5) نفس المصدر والصفحة.

(1) أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005م، ص 254.

(2) شوقي أبو خليل: الزلاقة، ص 98.

(3) تاريخ دولة المرابطين والموحدين ، الصلابي، ص 236.

(4) دراسات إفريقية، مجلة البحوث نصف سنوية. العدد الثاني ، شعبان 1406هـ أبريل 1986م، دولة المرابطين، عباس الجراري، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 150.

(5) الضبي: أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس، ص 390.

2/ الأسباب الاجتماعية:

الآفات الاجتماعية في العصر المرابطي:

إن المتتبع للتاريخ الاجتماعي لدوله المرابطين يجد إن الطبقة المتوسطة قد وصفها ابن الخطيب في فئة من الناس لا يشوفَ إلي المزيد وإلا يحذر من النقصان[1].

وحددها ابن باجه[2] في مجموعة من الناس الذين يتصنعون ويطمسون حقيقتهم بارتداء الملابس الأنيقة فوق الملابس الباليه لإخفائها حتى يتقربوا من الكبراء علهم يصلون إلى مكانة الطبقة الخاصة ، كما اعتبرها اسلم لأنها لا تهتم من دعه ولا ترمق من رفعة[3].

من الآفات الاجتماعية في عصر المرابطين بعض العادات والتقاليد التي استحدثت نتيجة الظروف السياسية والدينية التي مرت بهام نقطتي المغرب والأندلس.

لقد حددت الشريعة الإسلامية للزوج الحق في الزواج بأكثر من واحدة على أن لا يتعدى أربع زيجات غير أن الملاحظ في العرف السائد لدى بعض رؤساء "جدالة" ولمتونة" أنهم كانوا يتزوجون بأكثر من العدد الشرعي وهذا ما نستشفه من النص

---

(1) الضبي: أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، ، بغيبة الملتمس، ص 390

(2) ابن باجة، تدبير المتوحد، تحقيق: معن زيادة، بيروت، 1978م، ص 76 - 77.

(3) ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص 44.

الذي أورده ابن أبي زرع[4]. كما وصل عبد الله بن ياسين مع يحي بن إبراهيم إلـــى بلاد صنهاجة رأى المنكرات ظاهرة فيهم شائعة عندهم ووجد الرجل مـــنهم يتـــزوج بست نسوة، وسبع نسوة وعشرة، فأنكر عنهم ذلك وقوله "ليس هذا من الســـنة إنمـــا السنة في الإسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر فقط، وله سعة فيما شاء من ملك اليمين وليس من المستبعد أن يكون هذا العرف متبعاً بين الرؤساء دون العامـــة، وقد حاول عبد الله ياسين تغيير هذا الوضع ولما رأوه قد شدد علـــيهم تبـــرؤوا منـــه وهجروه ونافروه وثقل ذلك عليهم[5].

ظهور روح الدعة والانغماس في الملذات والشهوات:

كان للمجتمع الأندلسي تأثير كبير لا ينكر في قـــادة وأمـــراء وحكـــام دولـــة المرابطين الذين استجابوا لنذواتهم وشهواتهم وانغمسوا في الحياة الدنيا فتحقق قول الله تعالى :(وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا) [1].

الآية تقرر سنة الله هذه في إهلاك من أنغمس فـــي الشـــهوات وأســـرف فـــي الملذات وتحلل من القيم والأخلاق ولازم الفسق والإنحلال والفساد[2].

بعد وفاة يوسف بن تاشفين مال المرابطون في العصـــر الثـــاني إلـــى ألـــوان الترف، خصوصاً بعد احتكاكهم بالأندلسيين واطلاعهم على أساليب الحياة في المـــدن الأندلسية، مما جعلهم يتأثرون بحياة الرفاهية والمتعة التي كان يحياها أبناء الأنـــدلس، وبدأنا نسمع عن المجالس التي يحضرها المغنون والشعراء.

يقول البيدق:(إن الحوانيت في آخر أيام العصر المرابطـــي مملـــوءة دفوفـــاً، وقراقر ومزامير وعيداناً وروطاً وأربية وكيتارات، وجميع اللهو").

---

(4) ابن أبي زرع، روض القرطاس، السلاوي، الاستقصاء، مصدر سابق، ص 78.

(5) السلاوي، الاستقصاء، ج2، ص 7.

(1) سورة الإسراء، الآية: 16.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 57.

بالرغم من أن فقهاء المرابطين كانوا يقاومون مثل هذا التوجه بحكـم دورهـم الديني في الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكـن مثـل تلـك الحالات لم تؤثر في الناس إذ ظلوا مقبلين على الغناء والطـرب وأصـبحت سـائدة عندهم.

يعتبر سباق الخيل بين أنواع وسائل الترفيـه المنتشـرة فـي ربـوع العـالم الإسـلامي[3].

اهتم الأمراء المرابطون بأنفسهم بالخيل وركوبه، وحسبنا في ذلك أن الأميـر تاشفين بن علي كانت نهايته من على فرسه المسماة عنده ريحانة المشهورة بالسـبق بعد أن هوت به من على حافة، بالرغم من أنه كان فارساً بارعاً يهوى ركوب الخيل.

يقول ابن خلكان[1]: "فخرج تاشفين راكباً فرسه، وشد الـركض عليـه يثـب الفرس النار وينجو ".

إلى جانب هواة الفروسية كانت هواية الصيد تستهوي المغاربة والأندلوسـيين خصوصاً، وأن طبيعة المنطقتين معروفة بتنوع حيواناتها وطيورها كالغزلان والأيائل والأرانب البرية والشواهين وغير ذلك من الحيوانات والطيور[2].

وعليه كان الخاصة يجدون في الصيد متعة لهم ووسيلة من وسائل اللهو فكانوا يخرجون في نزهات الصيد لطائر الباز خاصة حول لشبونة وفـي جبـال الشـرف والجزائر الشرقية[3].

الموسيقى والغناء:

---

(3) البيذق: أبوبكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: ليفي بروفنسال باريس، 1928م، ص : 22 ، 23 ، 24.

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص 483.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص 198.

(3) هنري بريس، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، ترجمة الطاهر أحمد المكي، دار المعارف، القاهرة، 1988م، ص 307 - 308.

من أساليب الترويح عن النفس والتسلية أيضاً الموسيقى والغناء ، مع أن فقهاء المرابطين كانوا يكرهون سماع الأغاني وكتبوا في ذمه على أن المتبع لسبيله يــؤدي به إلى الإنحراف والمفاسد[4] إلاّ أن معظم الناس من الخاصة والعامة ومــنهم بعــض الفقهاء والعلماء كانوا يميلون إلى سماع المغاني كنوع من التسلية وشغل الفــراغ[5]، وقد اشتهرت اشبيلية باحتضان الغناء الأندلسي خاصة.

يقول المقري[1]: وإن مات مطرب بقرطبة فأريــد بيــع آلاتــه حملــت إلــى اشبيلية[2].

(ظهور السفور والاختلاط) [*].

يروي البيذق : سماعه صوت النساء والرجال في قريــة قلال، فخــرج إليهم لينهيهم فلم ينتهوا.

بدأت دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف تفقد طهرها وصفائها مما جعل الرعية المسلمة تتذمر من هذا الإنحراف والفساد وتستجيب لدعوة ابن تومــرت[3].

التســول:

من آفات المجتمع المرابطي ظاهرة التسول بين الطبقات الدنيا لما طــرأ مــن تحولات اقتصادية واجتماعية على المجتمع المرابطي.

---

(4) ابن الحاج، المدخل، المجلد (1) ، ج1، ص 114.
(5) ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مطبعة الفحامية، مصر 1351هـ، ص 49.
(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 155.
(2) البيدق، مصدر سابق،ص 22.
(*) قرية قلال: معروفة اليوم بعين بقلال الواقعة بين مكناس وأكنون، البيذق، ص 21 - 22.
(3) الصلابي : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، ص 235 - 236.

يقول بن خلدون[4]: حيث ربط بين ظاهرة الفاقة والسؤال أساساً بعمران المدن فاهل الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال متقاربين فـــي الفقـــر والخصاصـــة لكـــون أعمالهم لا تفي بضرورتهم، وهم لذلك مساكين محاويج في حين ما كان عمرانه مـــن الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المصر التي دونه.

المبحث الثاني

الأسباب الاقتصـــادية

الزراعـــة:

يعتمد المجتمع المرابطي على الاقتصاد الزراعي ويعتني بالأرض وامتلاكهـــا، واستصلاحها وفلاحتها لكن يبـــدو أن المـــرابطين لـــم ينجحـــوا فـــي إدارة الأرض واستغلالها بشكل مناسب، مما تسبب في بعض الثورات كثورة قرطبة سنة (539هـــ ــ 1144م).

وقد كانت ملكية الأرض قبل الفتح المرابطي تتقاسمها القبائل فيما بينها، فكانت غمارة تحتل الجزء الغربي الخصب من الجبال التي عرفت باســـمها[1]. وشـــاركتها

---

(4) ابن خلدون ، المقدمة، ص 285.

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 249.

صنهاجة البر[2]، وامتدت ديارها إلى شواطئ المحيط الأطلسي متصلة إلى مشـــارف جبل درن[3]، محترفة للزراعة والحياكة.

يقول المراكشي[4]: إنما كانوا أصحاب فلاحة ورعاة غنم.

العوامل المؤثرة على الإنتاج الزراعي:

الكوارث الطبيعيـــة:

شهدت بلاد المغرب على عهد المرابطين العديد من الكوارث الطبيعية، كـــان لها وقعها على الإنتاج الزراعي، والمقصود بهذه النوازل تلك الظواهر الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها، وأدت إلى حدوث مجاعـــات وانتشـــار الأوبئـــة والأمـــراض، بالإضافة إلى ما كانت تتعرض له البلاد من تدمير وخراب ومثال ذلك انحباس المطر في المناطق التي تعتمد على الزراعة أو هطول الأمطار بغزارة أكثر ممـــا تحتاجـــه الأرض، مما يؤدي إلى تلف المحاصيل الزراعية، أو السيول التي تجتاح ما يقابلهـــا من منشآت، كالسدود والقناطر، وما يحدث من خـــراب ودمـــار وبـــوار للأراضـــي الزراعية، أو هبوب الرياح الشديدة والعواصف التي تؤدي إلى اقـــتلاع الأشـــجار أو انتشار الجراد الذي يقضي على الأخضر واليابس[1].

تعد الكوارث الطبيعية من أسباب الأزمـــات الاقتصـــادية والمجاعـــات التـــي يتعرض لها الإنسان في كل زمان ومكان، لأنها تعصف بالمزروعات والحاصـــلات، وتلحق بها أكبر الضرر، ويتبع ذلك ضعف المحصول وقلته وبالتالي يحـــدث نقـــص الغذاء وندرته أحياناً كثيرة.

الجفاف وانحباس المطر:

---

(2) ابن خلدون، مرجع سابق، ص : 244 – 245.

(3) المصدر السابق، ص 264.

(4) المراكشي، المعجب، ص 243.

(1) مراجع عقلية الغناي، سقوط دولة الموحدين، 1409 هـ - 1988م منشورات جامعة قار يونس، ص 31..

تمتاز بلاد المغرب والأندلس بوفرة مياه الأمطار في العديد من أنحائهـا فـي فصل الشتاء العروتين تطلان على البحر المتوسط والمحـيط الأطلسـي، فيتعـرض كلاهما لتيارات بحرية باردة محملة ببخار الماء الذي يسقط عليها في صورة أمطـار غزيرة في فصل الشتاء، وعليه اشتهر المغرب والأندلس بثروتها الغابيـة والنباتيـة، بالإضافة إلى تنوع محصولاتها الزراعية نتيجة لوفرة المياه اللازمة للري[2].

تعتمد الزراعة في المغرب على مياه الأمطار بصفة أساسية بالإضـافة إلـى الأنهار والعيون والآبار.

كما عمت موجة الجفاف مدينة فأس أكثر من مرة كما يقول ابن الزيات[3]: كنا نطوف على المزارع وأنا أقول هذا الفدان فات صلاحه وهذا الفدان يصلح أن مطر.

ويقول صاحب الحلل[4]:(وغلت الأسعار وتوالت الفتن وعم الجدب).

ولم يكن الأندلس أحسن حالاً من المغرب، إذ عرف هو الآخر سنوات جـدب وجفاف وهذا ما وضحه ابن عذارى وهو يؤرخ لما حـدث (498هـ ـ 1104م)، حيث يقول[1] :(تناهى القحط في بلاد الأندلس والعدوة حيث أيقن النـاس بـالهلاك)، كما تعرضت مدينة قرناطة سنة (522هـ ـ 1129م) لحالة من الجفـاف والقحـط نتيجة عدم سقوط الأمطار[2].

المجاعـــات:

إن انحباس نزول الأمطار في المغرب والأندلس نجم عنه حدوث عدة مجاعات غير أن الملفت للانتباه أن تلك المجاعات اقترنت زمنياً بأواخر العصـر المرابطـي،

---

(2) الادريسي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (560هـ)، نزهة المشتاق في أطراف الآفاق، صفة المغرب وأرض السودان، ص: 60 – 62. ط نابولي إيطاليا، 1870م.
نفح الطيب، ج1، ص 98 - 99.
(3) ابن الزيات، التشوف، ص 165.
(4) الحلل الموشية، ص 119 - 120.
(1) ابن عذارى، البيان الغرب، ج4، ص 95.
(2) ابن الزبير، حلة العلة، نشر بروفنسال، الرباط، 1937م، ص 24.

وهذا ما يتطابق إلى ما ذهب إليه "ابن خلدون"[3]. في هذا المجال حيث يقول :(ثم إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدولة والسبب فيــه : أمــا المجاعــات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر، بسبب ما يقع في أواخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثــرة الخــوارج لهــدم الدولة، وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات أو كثــرة الفــتن لاخــتلال الدولة فيكثر الهرج والقتل).

ينطبق هذا القول على المرحلة الأخيرة من الحكم المرابطي الذي انتشرت فيه الفتن وتعددت فيه المغارم والمكوس.

وقعت مجاعات مختلفة بالمغرب الأقصى، نذكر منها مجاعة سنة (535هـ ــ 1140م) التي انعدمت فيها الأقوات وضاقت الأرض بالمساكين[4]. واضطر النــاس إلى أكل جذور النباتات، وعرفت الفترة الانتقالية من الحكم المرابطي إلى الموحــدي ظهور مجاعات مختلفة بسبب حصار الموحدين للعديد من المدن المغربية. وحســبت في ذلك حصار مدينة مراكش الذي دام عشرة أشهر فنفذ طعــام النــاس. واشــتدت أحوالهم وهلكوا جوعاً حتى أكلوا الجيف وأكل المساجين بعضــهم بعضــا، وعــدمت الأقوات كلها، والحنطة بأسرها واختبرت المخازن فلم يجدوا فيها شيء[1].

اضطر الناس إلى أكل خسيس الحيوان حتى عدم كل ذلــك وهلــك النــاس قــتلاً وجوعــاً[2].

لم يكن الأندلس أحسن حالاً من المغرب خصوصاً وأن الأندلسيين عانوا من غارات النصارى وتكالبهم على المسلمين . ووصف ابن عذارى[3] حال الأندلس في تلــك الفتــرة حيث يقول :(اشتد فزع المسلمين من ذلك الصقع من القلاع والقواعد وكثر شر الغــارات

---

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 320 - 321.
(4) ابن الزيات، النشوف، ص 149.
(1) ابي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، 919هـ، ص 9.
(2) مجهول ، الحلل الموشية، ص 137 - 138. ابن غذارى ، البيان والمغرب، قسم الموحدين، ص 27.
(3) ابن عذارى، ج4، ص 34.

وتوالى الضرب وعظم الضرر، وانقطعت السابلة وخافت الطرق، فكان لانعدام الأمن وكثرة الحروب أن أدى ذلك إلى ظهور مجاعات وحسبنا في ذلك ما آل إليــه الأمــر ببلنسية جراء حصار الكنبيطور لها سنة (487هـ ـ 1094م) حيث انعدمت الأقوات بالجملة، أو هلك الناس ولم يبق من ذلك الجم إلاّ نذر يسير، وتوالى اليبس واســتحكم الوباء، وبينما الرجل يمشي يسقط ميتاً[4]. أو من شدة المجاعة وصل الأمر بالنــاس أن أكلوا الفئران والكلاب والجيف وليس ذلك فحسب بل أكلوا بعضهم بعضا، ولم يسلم من ذلك موتاهم، وبلغ الناس من الجهد ما لا يطيقونه[5].

واتقاءاً لذلك لجأ أهالي بعض المناطق إلى تخزين المحاصيل كما حال "أهــل فحص البلوط"[*]. الذين يلجئون إلى تخزين البلوط لاستعماله فــي ســنوات الشــدة، والمجاعة، ونظراً للفاقة التي ألمت بالناس أيام المجاعات اضطر البعض إلــى بيــع أملاكهم كما حدث مع أمرأة من أهل أغمات[6].

السيــول والفيضانات:

بالرغم من أن قلة الأمطار كانت تصيب البلاد بحالة من الجفاف والقحــط إلاّ أن زيادتها عن الحد المعتاد نتج عنه سيول وأدت إلى غرق الأراضي الزراعية وإلى ارتفاع منسوب المياه في الأنهار وبالتالي حدوث فيضانات ســببت أضــراراً كبيــرة خصوصاً وأن بلاد المغرب والأندلس تتميز بكثرة أنهارها وأوديتها التي تقــع عليهــا العديد من المدن، ولعلّ أهمها في المغرب نهر تانســفين نهــر نكــور نهــر زيــز وغيرهما[1]. بالإضافة إلى العديد من الأودية[2]. كوادي فــاس، ووادي أم الربيــع، ووادي سبو[*]. ووادي اسوس، ولهذا اهتم المرابطون ببناء السدود والقناطر على تلك

(4) ابن عذارى، نفس المصدر، ص 39.

(5) ابن عذارى، نفس المصدر، ص 147.

(*) فحص البلوط، منطقة بالأندلس، تبعد عن مدينة قرطبة بمرحلتين أو ثلاثة، تشتهر بكثير من المحاصيل الزراعية، وخصوصاً منها البلوط، وعليه فقد سمى هذا الفحص باسمه،
الحميري، الروض المعطار، ص 435 - 436. الإدريسي، صفة المغرب، ص 213.

(6) ابن الزيات، التشوف، ص 124 - 125.

(1) الحميري، الروض المعطار، 305 - 340 - 577 - 578.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص 330 - 435 - 605 - 606.

الوديان لتفادي السيول التي تحدث عقب هطول الأمطار، وفي ذلك وادي تانسفيت الذي عادة ما يحمل زمن الشتاء بسيل كبير لا يبقى ولا يدر، وكان الأمير علي بن يوسف قد بنى على هذا النهر قنطرة عجيبة البناء متقنة بعد أن جلب إليها صناع الأندلس وجملا من أهل المعرفة بالبناء فشيدوها وأتقنوا بنايتها حتى كملت، غير أن هذه القنطرة لم تلبث غير أعوام يسيرة حتى أتى عليها السيل فهدمها وحمل أكثرها ورمى بها في البحر[3].

وشهدت مدينة طنجة سنة (532هـ ــ 1137م) سيلاً عظيماً دمر الجسور وتسبب في هلاك خلق عظيم من الناس والحيوانات[4].

شهدت مدينة فاس وضواحيها سنة (536هـ ــ 1141م) نزول أمطار غزيرة تسبب في حدوث فيضانات حيث حملت الوديان واشتد البرد وهلك كثير من جند المرابطين برداً وجوعاً لانقطاع الطرق من شدة الأمطار[5].

لم تكن بلاد الأندلس هي الأخرى بمنأى عن حدوث بعض السيول خصوصاً وأنها هي الأخرى معروفة بكثرة تلك الأنهار، تمتلئ بالمياه في فصل الشتاء خاصة أنهار بلنسية وشلب[1]. فقد اهتم حكام الأندلس ببناء السدود والقناطر على تلك الوديان ويشتهر الوادي الكبير بكثرة حركة المد فيه خاصة بناحية إشبيلية حيث يذكر المقرى إذا كان حمله في أيام المطر أشفقت إشبيلية على الغرق وتوقع أهلها الهلاك[2].

(*) وادي سيوه، منبعه من الأطلس المتوسط، طوله 600كلم، يتراوح عرضه ما بين 150 إلى 300 ويصف في المحيط بالمعمورة، (المهدية الحالية) قرب مدينة القنيطرة.، ابن ابي زرع، ج2، ص 162. الاستقصاء، ج2، ص 128.

(3) الإدريسي، صفة المغرب، ص 69، ابن الزيات: الشوف، ص 103.

(4) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 96.

(5) ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 99 - 100.

(1) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 166 - 167.

(2) المقرى، نفح الطيب، ج1، ص 480.

أشار ابن القطان على نزول الأمطار على حصن البراجلة سنة (582هـــــ ــ 1137م) مدة عشرين يوماً دون انقطاع كانت سبباً في غرق الجيــوش القشـــتالية لأن هطول تلك الأمطار تزامن وحملة القشتاليين على المنطقة[3].

الجراد:

يعتبر الجراد من أخطر الكوارث الطبيعية التي تصيب البلاد نظراً لأنه يقضي على الأخضر واليابس وكثيرا ما يسبب إضرار فادحه للثروة الزراعية في المغــرب أو في الأندلس أو غيرها وتشيد المصادر المعاصرة لفترة الدراســـة إلـــى تعــرض المغرب الأقصى لزحف الجراد على منطقه أغمات مما دعا النـــاس إلـــى اجتمـــاع والخروج لمحاربته ولم يكتفوا بذلك فحسب بل قصدوا احد الأولياء وشكوا له ما نزل بهم من الجراد وتزرعوا له بالدعاء فدعا لهم أن يصرفه عنهم وبعد ذلك بيوم خـــرج الناس إلى المزارع والجنات فلم يجدوا جراده واحده هذا ان صدقت كتب الناقب[4].

كما اشتدت وطأة الجراد على بلاد الأندلس في العهد المرابطي وقد زودنا ابن القطان بأخبار وافيه عما أحدثه الجراد في بلاد الأندلس حيث يشير في عهـــد أميـــر المسلمين علي بن يوسف هاجم الجراد بلاد الأندلس لمدة ستة أعوام متصلة (526هــ ــ 531هــ / 1131م ــ 1136م) حيث أتى على ما في الأرض من زرع وكلأ[1].

وتشير المصادر إلى أن هناك مناطق بالأندلس اشتهرت بمهاجمة الجراد مثـــل منطقة "لورقة" وهو ما يفهم من الإشارة التي ذكرها الحميري في حديثه عن لورقـــة في هذا الخصوص، حيث يقول :(وكثـــيراً ما تجـــتاح . ذروع لورقة بالجراد) [2].

مما لا شك فيه أن الأضرار الجسيمة التي سببها الجراد أثرت تأثيراً سلبياً على الأحوال الاقتصادية في بلاد الأندلس، حيث ندر وجود الغذاء ولذلك عنى المرابطـــون

(3) ابن القطان، نظم الجمان، ص 235.
(4) ابن الزيات، الشوف، ص 204 - 205.
(1) ابن القطان، نظم الجمان، ص 228، 230، 252، 250، 242.
(2) الحميري: الروض المعطاء، ص 242..

عناية كبيرة بمكافحة الجراد، بحيث أصبح هذا الأمر الشغل الشاغل لأمير المرابطين علي بن يوسف، وقد نفذوا إلى قرطبة التعليمات التي بعثها والده علي بـــن يوســـف، فأمر أهل قرطبة بالخروج من ديارهم لمكافحة الجراد[3].

وقد عمل الأندلسيون على مكافحة الجراد في مراحله الأولى وهذا ما يفهم من النص الذي أورده صاحب كتاب الأنواء "تقويم قرطبة" حيث يذكر أنه في شهر مارس يظهر ربيب الجراد فيؤمر بعقره. وعملوا على مكافحة الجراد بعدة طرق لدفع خطر الجراد[4].

طريقـــة الزراعـــة وأساليبها:

لقد انعكس النظام الإقطاعي الذي اتبعه المرابطون في توزيع الملكيات الخاصة على طريقة إدارة الأرض[5]. فكان كبار الملاك من الأمراء اللمتـــونيين أو الجنـــد لا يفلحون ما يملكون من أراضي إذ كـــانوا يســـكنون المـــدن، ويـــديرون أراضـــيهم بالوكالة[6]. حيث يتخذون وكلاء على أراضيهم، فيقوم هؤلاء بالإشراف علـــى كـــراء أراضي موكليهم، ومزارعها، أو مغارستها[1] وعليه فقد انتشرت ظاهرة وجود العمال المزارعين في المغرب والأندلس، سواء كانوا عمال مغارسة يدفعون الكـــراء مقابـــل زراعتهم لأراضي الملاك[2] أو عمال مزارعين مشـــاركين لأصـــحاب الأرض فـــي الإنتاج مقابل الخمس، لهذا كانوا يعرفون باسم الخماسين، بينما كانت تختلف النســـبة في البلاد الأندلسية فتصل إلى النصف أو الثلث أو الربع. [3].

---

(3) عريب بن سعد، كتاب الأنواء، تقويم قرطبة، ص 41.
(4) رضوان البارودي، الكوارث الطبيعية في الأندلس، ص 58.
(5) مجهول ، الحلل الموشية، ص 82.
(6) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 405،
(1) الونشريشي أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، بيروت، 1981م، ج8، ص 169.
(2) مصدر سابق، نفس الصفحة.
(3) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، فتاوي بن رشد، 520هـ - 595هـ، ص 10-11.

المبحث الثالث

الأسباب السياسية

ظهور دولة الموحدين:

يعد ظهور دولة الموحدين من الأسباب السياسية لزوال دولـــة المرابطيــــن.

كان ظهور القوى الموحدية في المغرب وما جرى بينها قد حمّــل المــرابطين الكثير واستهلك من قواهم، ومثل هذا سبب لهم في الأندلس قيام بعض المواجهــات[1] ضد المرابطين ونكوص نفر منهم عن التعاون معهم وفيما بينهم، فإن الدولة المرابطية لم تكن قوية في هذا الوقت كما كانت من قبل.

---

(1) الحلة السبراء، مصدر سابق، ص 197 - 233 - 250 - 252..

كان أول جيش أرسله الموحدون إلى الأندلس سنة 541هـ لإزالة ما بقى فيها من سلطان المرابطين[2].

نجح ابن تومرت في أن يغرس في نفوس أتباعه بأن قتاله للمرابطين وإسقاط دولتهم جهاداً قد أباحته السنة ونعتهم بالكفر والتجسيم حيث يقول[3] :(وكذلك المجسمون الكفار الذين يتشبهون بالنساء في تغطية الوجوه بالتلثم والتنقيب على حين تشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب وهذا التشبه بهم حرام، لما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء).

وقال تعالى :(وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) [4].

كان توجيه ابن تومرت لأتباعه في حملته الإعلامية الكاذبة ضد دولة المرابطين السنية التي أقامت كيانها على مذهب أهل السنة والجماعة والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله على هدى من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد طعن في عقيدتهم، ووصفهم بأنهم مجسمون، وكفار لا تجوز طاعتهم، ولا الولاء لهم، بل يجب جهادهم، ولهذا قاتل الموحدون المرابطون قتال المسلمين للكفار حسب اعتقادهم.

سقوط مراكش:

اتخذ المرابطون مراكش عاصمة لهم وأطلقوا عليها اسم (جوهرة الجنوب)[1] في موقع متوسط بين شمال المغرب وجنوبه، يضاف إلى ذلك تحكمها في بلاد

---

(2) نفح الطيب، ج2، ص 29، البيان المغرب، ج4، ص 58 - 92، 94.

(3) عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن، دار المعارف، مصر، 1971م، ص 71.

(4) سورة هود، الآية: 113.

(1) محمد رفعت، المغرب كما رأيته، د.ن، الرباط 1963م، ص 99.

المصامدة الذين هم أشد قبائل المغرب قوة وأكثرهم عدداً، بيد أن هـذه المدينـة لـم يستكمل بناؤها إلاّ في عهد علي بن يوسف والموحدين من بعده[2].

يذكر صاحب الحلل الموشية :(ولما كان في محرم سنة 541هـ توجه عبـد المؤمن إلى حاضرة مراكش مقر خلافة المرابطين ووصل بجيوشه إليها ونزل بجبـل يعرف بجبل الجبلين وهو جبل صغير بنى عليه مدينة واستند إليها وبنى فيها مسـجد وصومعة طويلة يشرف منها على مراكش، ولما أكمل المدينة بالبناء ونزلت كل قبيلة في الوضع الذي حدده لها وزحـفوا جميـعاً نحو مراكـش) [3].

توافدت القبائل على ابن تومرت واستعدت للقتال وتجمع منهم نحو أربعين ألفاً منهم فرسان والغالب منهم رجاله، وقدم عليهم الونشريسي ووجهم نحو مراكش فبدأوا بالزحف نحوها عام (521هـ ـ 1127م) وقبل وصـولهم إلـى أسـوار مـراكش خاضوا معارك عديدة مع المرابطين كانت جميعها لصالحهم[4].

ضرب الحصار[1] حول مدينة مراكش أربعين يوماً على الأرجح وطوال فترة الحصار كانت تدور المعارك ويتمتع فيها الموحدون بـروح معنويـة عاليـة لكثـرة انتصاراتهم على المرابطين.

يذكر البيزق[2] أن عبد المؤمن هبط إلى مراكش وجاوز تاشفين إلـى تـالقيط وميز فيها، وقلع إلى ايجليز وضرب عندها القبة الحمراء. كان القتال بيننـا وبيـنهم أربعة أيام وكان يخرج إلينا إسحاق بن بنتان، ومحمد بن حواء، ومحمد بن يانكـالا، وهؤلاء هم سلاطينهم الظاهرين وكان إسحاق صاحب الولاية وهـو صـبي صـغير

---

(2) عبد الواحد أحمد شعيب، دور المرابطين في الجهاد بالأندلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ص 22.

(3) قيام دولة المرابطين، رسالة ماجستير، صلاح آدم عيسى. ص 140. نقلاً عن صاحب الحلل الموشية.

(4) الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص 317.

(1) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 620.، رسالة ماجستير ، عائشة محمد الأمين، الموحدون وجهادهم في الأندلس، ص 69.

رسالة ماجستير ، عائشة محمد الأمين، ص 69.

(2) البيزق، مصدر سابق، ص 110 – 116.

وخرجوا إلينا في اليوم الخامس، وهزمناهم حتى باب الشريعة ومات فيهم خلق عظيم، فلما رأو ذلك خمدوا في المدينة وبقيت المدينة[3]. لا يدخلها داخل ولا يخــرج منهــا، فاستعمل الخليفة السلالم للأسوار، وقسمها على القبائل، فسار النـــاس علـــى قتـــالهم، فدخلها الموحدون وفتحت مراكش بحد السيف[4].

لم يسكن الموحدون مدينة مراكش فور احتلالها لأن الموحـــدين يـــرون فـــي غلوائهم الدينية أن مراكش هي مدينة المجسمين، امتنع المهدي عن مســكن مـــراكش لتشريف مساجدها عن القبلة المستقيمة[5].

ولقد تأثر عمران مراكش بالفتن المتواصلة التي اشتعلت نيرانها في أواخر أيام الموحدين، واستولى الخراب معظم ديارهم بمراكش عند سقوط دولتهم ويذكر الوزير أبو الحسن بن سعيد العنسي أنه وجد على بعض قصورها مكتوب بالفحـــم:

ولقد مررت علـــى رســـوم ديـــارهم
فبكيتهمـــا والربـــع قـــاع صفصـــف
وذكرت مجرى الجور في عرصاتهم
فعلمـــت أن الـــدهر فـــيهم منصـــف

قال فتناولت بياضاً من بقايا جيار وكتبت تحته:

لهفي عليهم بعدهم بمثالهم
بالله قل لي في الـــورى هـــل يخلـــف
من ذا يجيب منادياً لوسيلة
أم من يجير من الزمان وينصـــف[1]

---

(3) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 700.
(4) رسالة ماجستير، صلاح عيسى، ص 141.
(5) هشام أبو رميلة، مرجع سابق، ص 57.
(1) ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 128.

موقعة البحيرة[*]:

هي الغزوة التي لم يشترك فيها ابن تومرت وقادها الموحدي محمد البشير واستنفر على بن يوسف قواته من المدينة وانضمت إليه الإمدادات الزاخرة وتولى قيادة الجيوش المرابطية الشيخ أبو محمد وأنودين بن يسر وكان الموحدون منذ بدء الحصار قد ضربوا مرحلتهم خارج المدينة تجاه باب الدباغين وباب إيلات بستان كبير والبستان في اللغة المحلية يسمى بالبحيرة، ومن ثم قد سميت الموقعة بالبحيرة[1].

(*) كانت ملتقى معركة بين المرابطين والموحدين، لكن المرابطين عنوا بها كامل العناية، واتخذوا منها مكان لتجمعهم ، البيذق، أبوبكر الصنهاجي ، ص 199.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10 ، ص 305. ج6، ص 565.

كان الموحدون قد أرهقتهم المعارك المتوالية وتفوق المرابطين على الموحدين بكثرتهم تفوقاً ظاهراً[2] وفضلاً عن كثرتهم، كانت تحدوهم عندئذ روح مضطربة من التوثب والظمأ إلى الانتقام.

أخذ الونشريشي القائد العام للقوات الموحدية وعبد المـؤمن بتنظـيم القـوات الموحدية لخوض المعركة الفاصلة، وما هي إلاّ مدة وجيزة حتى اشتبك الطرفان فـي معركة مروعة استمرت من الصباح حتى الغروب، قتل فيها في بداية النهار محمـد البشير الونشريشي، فخلفه عبد المؤمن في قيادة الجيش، ولما رأى المصـامدة كثـرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم[3] إلى بستان هناك (البحيرة) وما إن جـن الليـل حتى قتل معظم المصامدة، ففر عبد المؤمن بنفر يسير لا يتجاوز الأربعمائة ما بـين فارس وراجل، وبعد انتهاء المعركة بحث الموحدون عن جثة الونشريشي بين الجيش فلم يعثروا عليها، لأن عبد المؤمن كان قد واراها فوراً، فأشاعوا فيما بينهم أنه رفـع إلى السماء[4].

تعتبر موقعة البحيرة من أعنف المعارك بين المرابطين والموحدين في حيـاة المهدي بن تومرت، وكانت الصدمة الشديدة التي هـزت كيـان المهـدي وألزمتـه الفـراش[1].

استثمر المرابطون فوزهم في البحيرة وأرسلوا أربعة جيـوش بقيـادة أربعـة مشاهير من قوادهم وهم سير بن واربيل، ومسعود بن وزيتغ، ويحي بن سيد ويحـي بن كانجان، إلى تينمل للقضاء على الموحدين في معقلهم الحصين، وتقابل الطرفـان

(2) محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين. ص 88.
(3) بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 565.
(4) ابن خلكان، فيات الأعيان، ج5، ص 53.
(1) رسالة ماجستير، عائشة محمد الأمين، ص 61.
ابن خلكان، ج4، ص 303.

بموقع يقال له ايكر متاع بنى كوربيت إلا أنه لم يحدث قتال بينهم[2]. يقــول البيــذق: بأن المرابطين حلت في قلوبهم الرهبة من جموع الموحدين.

ومن هذه الحملات حملة أبي إسحاق إبراهيم الذي وجهه إليه على رأس جيش كبير، ولكنه انهزم أمام ابن تومرت دون قتال، وتعقبتهم القــوات الموحديــة وقتلــت أعداداً كبيرة منهم، وغنموا حملتهم، وقد اغتنم أمير المسلمين لهزيمة جيشــه وبــادر بإرسال حملة أخرى بقيادة الأمير سير بن مزدلي اللمتوني الذي أضاف هو أيضاً إلى سجل الهزائم المرابطية على يد الموحدين[3].

تعتبر معركة البحيرة من أعنف المعارك التي وقعت بين المرابطين والموحدين في حياة المهدي، وكانت الصدمة الشديدة التي هزت كيان المهدي بن تومرت وألزمته الفراش[4].

حصار فاس:

كانت مراكش تمثل الفصل الأخير من الدولة المحتضــرة حينمــا بويــع فــي مراكش، على أثر معد تاشفين لولده الأمير أبي إسحاق إبراهيم، وكان أبــوه قــد ولاه ولاية عهده منذ وفوده عليه في تلسمان في أواخر سنة 538هــــ، ثــم وجهــه إلــى مراكش، وذلك قبيل وفاته بنحو شهر، على أن هذه البيعة التي تمت في أدق الظروف التي كانت تواجهها الدولة المرابطية، لم تقع دون خلاف، فإن إسحاق بن علــي عــم الأمير إبراهيم خرج عليه ودعا لنفسه بالإمارة، ووقع الجدل الطاحن بــين الفــريقين داخل العاصمة المرابطية، وكان الموحدون في ذلك الوقت نفسه يقتربون مــن فــأس والوفود والحشود تترى من كل حدب على عاهلهم عبد المؤمن[1].

حاصر الموحدون فاس واستمر حصارهم زهاء سبعة أشهر أو تسعة وفي داخلها بن أبي بكر بن علي الصحراوي في قواته، ومعه أهل فاس صامدون يرجون لقتال الموحــدين

---

(2) البيزق ، ص 39 - 41.
(3) سلامة محمد سليمان، دولة المرابطين، ص 113.
(4) عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 255.
(1) البيذق، مصدر سابق، ص 98.

إلى أن قطع الموحدون مجرى النهر الذي يدخل إلى المدينة، وأقاموا عليه سداً منيعاً من الحطب والتراب، وقد كان حرياً أن يطول حصار فاس لولا أن عجل بنهايته ما حدث داخل المدينة من خلاف بين يحي بن علي وبين أبي محمد بن عبد الله بن خيار الحياني المشرف على المدينة بخلاف من جراء اشتداد يحي في مطالبة الحياني بالأموال بطريقة أرهقته وحملته على أن يتصل سراً بقائد الموحدين أبي بكر بن السير وأن يعده بفتح أبواب المدينة، وفي صباح اليوم التالي أوفى الحياني بوعده وفتح باب الفتوح، فتدفق منه الموحدون إلى داخل المدينة، وخرج الحياني فانضم إليهم ولما شعر الصحراوي بوقوع الكارثة بادر بالفرار واخترق الوادي حتى وصل إلى طنجة، يقول ابن صاحب الصلاة[2]:(ودخل الموحدون مدينة فاس سنة (540هـ ــ 26 أبريل سنة 1146م) .

يروي البيذق أن عبد المؤمن لم يكن حاضراً وقت دخول الموحدين فأس، وأنه كان عندئذ على حصار مكناسة.

لما علم عبد المؤمن بسقوط فأس قدم إليها مسرعاً وقبض كل مشاعلها من أشياخ المرابطين وولى عليها إسحاق بن اجمع وشرفها الحياني، وقتل الجميع إلاّ محمد بن بنتان وزير على ابن يوسف السابق وهو الذي تعرض لحماية المهدي بن تومرت وكان المهدي قد نهى عن قتله وقلت ذريته، فاكتفى عبد المؤمن باعتقاله[3].

كانت الوفود تترى على جيش ابن عبد المؤمن ويفد عليه من أشياخ القبائل وزعماء الأندلس الثائرين على سلطان المرابطين مثل أبي الغمر بن عزون الثائر بشريش، وابن محمد بن الثائر بقرطبة، وأرسل عدداً آخر من زعماء الأندلس الذين شعروا بانهيار سلطان المرابطين، ومعلنين طاعتهم للموحدين[1].

سقوط المريه:

انتفضت أسبانيا الشمالية بهذه الحالة وتلقت الأندلس عدة هجمات كان منها سقوط المرية ــ ثغر الأندلس الشرقي وإحدى قواعد أساطيله الكبرى على يد جيوش

---

(2) ابن صاحب الصلاة: عبد الملك بت صاحب الصلاة، ، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، (594هـ ـ 1198م) القسم 3، ص 20.

(3) البيذق، مصدر سابق، ص 102.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم3، ص 22.

أسبانيا الشمالية (قشتالة ونبارة وأرغون وقطلونية مع قوات من جنوة وبيــزة ومــن خلف جبال البرت[2].

نظم هذه الحملة ملك قشتالة أدفونش بن رمند (الفونسو السابع) [3]. تقدمت هذه الجيوش نحو المرية وضربت حولها الحصار من البر والبحر لمدة ثلاثة أشهر حتـــى نفد الطعام وشح الزاد وتم الاستيلاء عليها فسقطت بأيديهم ودخلوها يوم الجمعة السابع عشر من جمادي الأولى سنة اثنين وأربعين وخمس مئة عنوة[4].

استشهد كثير من المسلمين خلال دخولهم كان منهم عـــالم المريـــة الرشـــاطي الإمام المشهور[5]. (أوريولة، من أعمال مرسية، (466هـــ المرية 542هـــ) وهـــو أبو محمد عبد الله الرشاطي[6].

كما أسروا الكثير وأحصى عدد من سبى من أبكارها ، فكان أربعة عشر ألفاً[1].

استعاد الموحدون المدينة بعد عشر سنين سنة (552هـــ) [1]. تابعت الحمـــلات الصليبية مدن الثغر الأعلى بعد أن سقطت سرقسطة سنة (512هـــ ـــ 1118م) بعـــد حصار شهور بجيوش كثيفة قادها أدفونش بن ردمير الفونسو المحارب، ملك أرغون ثم سقطت المرية (542هـــ) [2].

---

(2) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج1، ص 508/371.
(3) حجي، التاريخ الأندلسي، ص 440.
(4) المقري، نفح الطيب، ج4، ص 461.
(5) بن خلكان، ج3، ص 107.
(6) نفح الطيب، ج4، ص 463.
(1) نفح الطيب، ج4، ص 463..
(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ص 33. نفح الطيب، ج4، ص 463. ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 265 - 271.
(2) المقري: نفخ الطيب، ج4، ص 462.

وسقطت طرطوشة يوم الخميس (16 شوال 543هـ) بيد قوسي برشلونة[3].

سقطت لاردة في العام التالي وغيرها بخيانة محمد بن سعد بن مردنيش، في (رجب 567هـ ـ 1172م) المتغلب على بلنسية ومرسية ومناطق شرق الأندلس وغيرها [4].

كان محمد بن غانية (أخو يحي) والياً على الجزائرالشرقية وبقى ولبث موالياً للمرابطين رغم ظهور الدعوة الموحدية، وتولى يحي قرطبة وبقى يقود الأعمال الحربية حتى وفاته (543هـ ـ 1148م) وذهبت كثير من جهود المرابطين في المغرب في مقاومة الموحدين[5].

توفى الأمير المرابطي تاشفين أو هوىبه فرسه من شاهق، في 27 رمضان سنة (539هـ ـ 1145م) [6] ، تولى الحكم بعده ابنه أبو إسحاق إبراهيم، وكان صغيراً وبعد عامين من هذا التاريخ في شوال (541هـ ـ 1147م) بقتل إبراهيم[7]، بعد أن ينتهي حكم المرابطين ليرثه الموحدون في المغرب والأندلس سواء.

(3) ابن الآبار، التكملة، ج1، ص 64.
(4) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 126.
(5) عبد الرحمن حجي، تاريخ الأندلس، ص 441.
(6) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص 104.
(7) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 265.

الخاتمة :

- النتائج
- التوصيات
- المصادر والمراجع
- الملاحق

الخاتمـة:

تناولت في هذا البحث تاريخ دولة المرابطين الغنية منذ نشأتها وحتى سقوطها. فيعطي نبذة تاريخية عن أصول القبائل التي قامت عليها دولة المرابطين، وعن مواطنها ومواقعها ، ويعتبر المؤرخون أن القبائل الصنهاجية اشتهرت في التاريخ باسم الملثمين.

وقد مرت دولة المرابطين قبل قيامها بعدة مراحل فهي مرحلة التعريف والتكوين والتنفيذ، وأما مرحلة التمكين فهي التي أصبحت فيها ملامح دولة المرابطين واضحة للعيان.

قام بن ياسين بتعريف الناس بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، واهتم بتعليم الناس الصلاة والزكاة وأحكام الصيام، أما صاحب الفضل بعد الله تعالى في مرحلة التمكين والتوسع والانتشار الفعلي فهو يوسف بن تاشفين منقذ الأندلس من الضياع.

دور دول الطوائف في إضعاف الأندلس:

قامت في الأندلس عدة دويلات تفاوتت في المساحة والقوة.

لم تقم هذه الدويلات في وقت واحد وأن النهايات التي استمرت منها على يد المرابطين كانت متفاوتة وإن تقاربت.

لم يكن حكام الأندلس أهلاً لقيادة الأمة ويقول دكتور حجي :(وهكذا وجدت في الأندلس أوضاع يحكمها أمراء اتصف عدد منهم بصفات الآثرة والغدر وهانت لديهم مصالح الأمة، وباعوا أمتهم للعدو المتربص ثمناً لبقائهم في السلطة، ولقد أصاب الأمة من الضياع بقدر ما ضيعوا من الحظ الخلقي المسلم، انحرف هؤلاء المسئولون عن النهج الحنيف الذي كانت به الأندلس وحضارتها).

الصراع بين طليطلة وقرطبة وأطماع ملوك الطوائف:

تدخل بنو عباد أصحاب اشبيلية، وبنو الأفطس أصحاب بطليموس للوقوف ضد صاحب طليطلة الذي كان يهددهم جميعاً، تحرك الجميع لإنجاد قرطبة فانتهز ابن عباد أمير اشبيلية هذه الفرصة واكتفى بإرسال خمسمائة فارس إلى ابن جهور.

طالت الحرب بين طليطلة وقرطبة ودامت أعواماً فأوقع المأمون صاحب طليطلة بقوات قرطبة وحليفاتها هزيمة شديدة واستطاع الوصول إلى قرطبة وحاصرها، فبادرت اشبيلية إلى إغاثتها، فأرسل ابن عباد ابنه محمد على رأس جيش قوي فيه وزيره أبو بكر محمد بن عباد وزوده بخطة سرية، واستطاع جيش ابن عباد أن يفك الحصار عن قرطبة واضطر الطليطيون لرفع الحصار وارتدوا عنها، وخرج القرطبيون لمطاردتهم ونفذت خطة ابن عباد السرية التي كان محتواها دخول قرطبة عندما يخرج أهلها خلــف الطليطليــون.

استطاع المأمون حاكم طليطلة أن يتوسع ويحقق انتصارات واسعة سنة 1073م، على مرسية وأريولة وعدة مدن أخرى، وبهذا أصبح الأمير الأقوى الذي يسيطر على أواسط أسبانيا.

وتحالف المأمون مع الفونسو ملك قشتالة وتعاهد الأميران على أن يرتبطا معاً برباط الصداقة الوثيق، وندم المعتمد بن عباد على فعلته خصوصاً عندما رأى الفونسو يتوسع في ضم ممالك المسلمين وأيقن أن الدائرة عليه قادمة.

جعل الله بين أمراء الطوائف من التنافس والتدابر والتقاطع والتحاسد والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات، فلم تصل لهم في الله يد ولا نشأ على التعاضد عزم لذلك انهارت الروح المعنوية للشعب الأندلسي بعد ما رأى من أمرائه التخاذل والخيانة.

رأى الفونسو أن زمام الأندلس أصبح في يده فضاعف غاراته على جميع البلاد وتساقطت المدن والقرى بأيدي اللعين. وأرسل إلى المتوكل بن الأفطس صاحب بطليموس يطلب إليه تسليم الحصون والقلاع وتأدية الجزية.

لقد وقع المعتمد بن عباد في أخطاء كثيرة، حيث تعاهد مع الفونس ضد إخوانه المسلمين في طليطلة مقابل أن يسمح له بأخذ ممالك من حوله، إلاّ أن النصارى لا

عهود لهم ولا مواثيق، فأراد الفونس أن يجد مبرراً لضرب الحصار على اشبيلية وقرطبة فطلب من المعتمد حصوناً وقرى الموت أحب إليه من تسليمها، ومارس الفونسو مع المعتمد أنواعاً من الإذلال والتجني ليخرج المعتمد عن طوره ويلغي الاتفاقية الهزيلة بين الطرفين ويجد الفونسو والنصارى ما يبرر أفعالــه الانتقامية والوحشيــة.

المعتمد ابن عباد من أبطال الأندلس الذين تركوا تاريخاً عظيماً من خلفهم وله مواقف حاسمة ورأى صائب ونفاذ بصيرة، فجد في تقوية جيشه وعقد اجتماع ضم علماء قرطبة وزعماء اشبيلية الذين أشاروا إليه بمهادنة الفونسو والرضوخ لشروطه، ولكنه ضد هذا الرأي لم يجد هوى في نفس المعتمد الذي خلا بابنه الرشيد، وكان ولي عهده وصارحه بأنه يرى من الرأي أن يبعث إلى هذه الصحراء وملك العدوة نستدعيه للجواز إلينا ليدفع عنا الكلب اللعين.

المرابطون ودفاعهم عن مسلمي الأندلس:

تأثر المرابطون لمصاب إخوانهم في الدين وعرض أميرهم قضية مسلمي الأندلس على أهل الحل والعقد، وأجمعوا على نصرة دينهم، واعزاز كلمة التوحيد عبر المرابطين،

بقيادة القائد المرابطي داؤود بن عائشة وتمركز في الجزيرة الخضراء وتتابعت كتائب المرابطين.

موقعة الزلاقة :

استعرض المعتمد الجيــش المرابطــي فــرأى عســكراً نقيــاً ومنظــراً بهيــاً.

على اثر استدعاء المرابطين للأندلس تغيرت الأحوال، دارت معارك عديدة بين المسلمين والمرابطين والأندلسيين، وبين قوات قشتالة التي تصاب بخسائر كبيرة أولها الزلاقة سنة 479هـ، وقد كان يوم الزلاقة من أيام الإسلام المشهودة في انتصاره على النصرانية.

كانت تعني في الواقع أكثر من هزيمة لملك قشتالة وأكثر من ظفر للمرابطين وحلفائهم الطوائف. وقد شعر الفونسو ملك قتشالة عقب موقعة الزلاقة بأن التحالف بين الإسلام في إفريقيا والأندلس يوشك أن يقضي على أسبانيا النصرانية، وإنه لا بد أن يقابله حلف بين قوى النصارى فيما رواء البرنية.

وآخر معركة يخوضها جيش أدفونش (السادس) هي معركة أقليش التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً، وقتل فيها شانجة ابن الأفونش ملك قشــتالة.

القضـاء على ملوك الطوائف:

ساءت أحوال ملوك الطوائف مرة أخرى وترددت الكتب والفتاوي إلى أمير المسلمين لإنجاد الأندلس وإنقاذه من ملوك الطوائف هذه المرة.

تأتي صفحة أخرى من جهاد المرابطين حيث أنفقوا جهوداً كبيرة لإنقاذ بلنسية من القمبيطور والقشتاليين وحدثت موقعة أقليش وبعدها سرقسطة.

سار أمير المسلمين بجيش ضخم صوب طليطلة فاتحاً طلبيرة ومحيطها (مدريد) وحدثت معركة شديدة أعيد فيها فتح طلبيرة سنة 503هـ.

جرت أحداث خسر فيها المسلمون بعض المواقع والمدن، ثم استولى ملك أرغون على مدينة سرقسطة سنة (512هـ ـ 1118م) بعد حصار اشتركت فيه

قوات من مختلف أسبانيا النصرانية، وكان من أسباب سقوطها عدم احسان الجيش المرابطي الدفاع عنها.

ومن معارك المسلمين وجهادهم موقعة قتندة بقيادة أبي إسحاق إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين أخ الأمير المرابطي على بن يوسف ودارت المعركة شديدة على المسلمين واستشهد فيها الآلاف بينهم العديد من الفقهاء والعلماء.

موقعة افراغة:

كانت هذه المعركة من المعارك المهمة والجيش الإسلامي مكون من المرابطين بقيادة الأمير أبي زكريا ابن يحي بن غانية والي بلنسية ومرسية ومن الأندلس، وكان الجيش أقل من جيش ردمير الذي حلت به وبجيشه الهزيمة بعد قتـــال عنيـــف.

أسباب سقوط دولة المرابطين:

ضعف سلطان المرابطين في الأندلس وفي سنة سبع وثلاثين أخذت دولة المرابطين في الانقراض وجرت أحداث ألحقت بالأندلس الضرر.

انتفعت أسبانيا الشمالية بهذه الحالة وتلقت الأندلس عدة هجمات كان منها سقوط مدينة المرية ثغر الأندلس الشرقي وإحدى قواعد اساطيلة الكبرى، تقدمت من الجيوش نحو المرية وضربت حولها الحصار، فسقطت بأيديهم يوم الجمعة سنة (544 ـ 542هـ).

وسقطت لاردة في العام التالي وغيرها بخيانة سعد بن مردنيش رجب 567هـ ـ 1172م، المتغلب على بلنسية ومرسية.

إن ملوك الأندلس تحققت فيهم سنة الله الماضية بسبب تغير النفوس من الطاعة والانقياد إلى المخالفة والتمرد على أحكام الله. وترتب عليه انقاص الأرض وضياع الملك وتسلط الكفار وتوالي المصائب.

توفى علي بن يوسف بن تاشفين وتولى بعده ابنه تاشفين حكم الدولة المرابطية وتولى يحي بن غانية من قبل تاشفين قرطبة وذهبت كثير من جهود المرابطين في المغرب في مقاومة دولة الموحدين.

توفى الأمير المرابطي تاشفين وتولى الحكم بعده ابنه ابو إسحاق إبراهيم، وكان صغيراً في عمره، وفي عام (541هـ ــ 1147هـ) قتل أبو إسحاق إبراهيم وبعده ينتهي حكم المرابطين ليرثه الموحدون في المغرب والأندلس على السواء.

النتائج:

إستناداً على الدراسة والتقصي توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها الآتي:

1- اتخذت دولة المرابطين من الجهاد ونشر الإسلام هدفاً أساسياً جندت له كل إمكانياتها، واتخذت من مذهب الإمام شعاراً لها ومنارة تهتدي بت في كل تحركاتها.

2- ربح رباط بن ياسين مكاناً قوي مثيراً للجدل، ربوة الشعراء في مضارب المتونة.

3- اختلفت الآراء حول طبيعة الدولة المرابطية وأساليبها في الحكم وقد اشتدت بعض الروايات في الحكم عليها ووصفها بأشد الصفات.

4- وصف جنود هذه الدولة وخشونة الطباع والجبن إزاء الأعداء وتحكم النساء والجواري فيهم والتباكي على الحياة العلمية، وقد وصفها البيذق ورينارت دوزي بأقسى أنواع الوصف.

5- كان للمرابطين دور مشرف من أجل الحفاظ على كيان الإسلام ودولته في بلاد الأندلس، وكان لهم نفس الدور في رد أطماع الممالك النصرانية.

6- سعت دولة المرابطين في ايجاد حكومة تظلها راية الإسلام مع سعيها لحركة الجهاد في الأندلس وإطالة عمر الدولة الإسلامية فيه ما يكفي، أن تتجاوز عن كثير من الأخطاء التي وقع فيها المرابطون والتي استغلت لتشويه صورة دولتهم.

7- ضعف المجتمع الإسلامي في الأندلس وتطور فكرة الاسترداد وإجلاء العرب عن شبه الجزيرة والعودة بالمجتمع الأندلسي إلى حاضرة المسيحية في وقت تم فيه التقرب بين الكنيستين الرومانية والقوطية وبين أسبانيا وفرنسا.

8- أصاب المسلمين في الأندلس أضرار جسيمة بسبب خنوع ملوك الطوائف للنصارى وضعفهم في الحكم، مما عرض ممالك الأندلس لأطماع النصارى الحاقدين.

9- كانت علاقة المرابطين مع ملوك النصارى عدائية، أما مع أهل الذمة فكانت محكومة بحكم الشريعة فيهم فقامت على العدل والإنصاف.

10- كانت حضارة المرابطين في الأندلس والمغرب مقصداً لأبناء العلم الأوربيين الذين توافدوا على الأندلس لتلقي العلوم والصناعات ونظام الدولة والحكم وآداب السلوك.

11- لعب المرابطين دوراً في غاية الأهمية في تاريخ الحركة الصليبية التي كانت توشك أن تأخذ ثأرها في الشرق، فقد نجحوا في الحيلولة بين ممالك الأندلس وبين الحملات الصليبية التي نظمت للاستيلاء على بيت المقدس ووقفوا لهم بالمرصـــاد.

12- الحملة العنيفة التي شنها المهدي بن نومرت ضد المرابطين نتيجة طبيعية لصاحب كل دعوة يسعى إلى الطعن في أعدائه، حتى أنه قد صور المرابطين بالكفر والإلحاد.

13- استفاد عبد المؤمن من الانشقاق والاختلاف بين قبيلتي لمتونة ومسوقة وهما عماد العصبة المرابطية.

14- سقطت دولة المرابطين في عنفوان شبابها بسبب حركة قوية قامت على أكتاف قبيلة معمودة وطول وعنف الصراع لدفع عدوان النصرانية ومن حالفها من الدول الأوروبية فكلفها ذلك الكثير.

15- من أعظم أسباب سقوط الدول الذنوب والمعاصي وارتكاب الكبائر والمظالم.

16- سنة الله جارية في إعذار من يشاء وإذلال من يشاء. ونزع الملك ممن يشاء وإعطائه لمن يشاء.

التوصيات:

وبناءاً على النتائج السابقة أوصي بالآتي:

1- أن يتناول الباحثون حياة المعتمد ابن عباد.

2- وحياة يوسف بن تاشفين ودوره الجهادي.

3- السياسة الداخلية والخارجية لدولة المرابطين.

4- الاختلاف المذهبي بين دولة المرابطين ودولة الموحدين ودوره في إضعاف الأمة.

5- أسباب سقوط الدولة المرابطية الاجتماعية والدينية والسياسية.

6- معرفة أسباب ضعف المسلمين بالأندلس وقوة النصارى.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم.

أولاً المصادر باللغة العربية:

1/ الكتب:

ي ابو عبد الله شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، ج4، طبعة حيدر أباد 1334هـ.

علام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ.

ري) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الإرب في فنون العرب، ج4، ترجمة جاسبارو روميرو دار الكتب والوثائق ة: ط1، 1423هـ

ي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدين كارل نودنبيرج، أبساله ، 1843م. الرباط، 1973م.

لأبار: أو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء. تحقيق الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ج2، 1963م

م في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، نشر كوديرة، مدريد، 1885م.

سب من كتاب تحفة القادم. تحقيق : د. إبراهيم البياري، طبعة 1983م.

لأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ،الجزء التاسع، 1989م ـ 1408هـ، بيروت ، لبنان.

خطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، عبد الله عنان، المجلد الثاني، القاهرة: 1974م.

بد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي أحمد السلماني ، أعمال الأعلام : 776هـ، المجلد الأول، ج2، نشر ليفي بروفنسال
ي تاريخ أسبانيا الإسلامية، بيروت: 1956م.
قطان، أبو علي حسن بن أبي الحسين علي: نظم الجمال لتركيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د. محمود علي مكي، الرباط
ي، نشر دار الغرب الإسلامي،
جة، محمد بن يحي أبوبكر، تدبير المتوحد، تحقيق: معن زيادة، بيروت، دار الفكر الإسلامي، 1978م
سام أبي الحسين علي البشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (شنترين ــ قرطبة 542هـ، القسم الثاني مخطوط المتحف ا
: عبد الحميد العبادي، وعبد الوهاب عزام، بغداد رقم 1587.
لدون، عبد الرحمن بن خلدون، توفى (808هـ) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. دار الكتاب لبنان، 1959م.
لدون، المقدمة، تحقيق: الدكتور عبد الواحد وافي ، القاهرة، 1384هـ ــ 1965م.
عيد أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: 1953 ــ 1955م.
ماحب الصلاة: عبد الملك بت صاحب الصلاة، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، (594هـ ــ 8
: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، القسم 3. 1987م.
ذارى المراكشي، (ابو عبد الله محمد)، (توفى 665هـ) والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر وتحقيق ج.ش، كولا
سال، ليدن 1948م.
ازي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ن علي بن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق : عبد الو
ر، 919هـ.
رحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مطبعة الفحامية، مصر 1351هـ. 1932م.
حسن ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق : عبد الملك العبادي، وعبد الوهاب عزام، القاهرة 1358
1م
حسن علي بن موسى بن سعيد، ت 685م، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، 1970م.
عباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد، الدار البيضاء، 955
عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبريل، 606هـ 26 رجب 681ه
، تحقيق : د. إحسان عباس، بيروت، 1968م.
وليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، فتاوي بن رشد، تحقيق: الطاهر التليدي، 520هـ ــ 595هـ.
عفر أحمد بن إبراهيم، صلة الصلة، نشر برفنسال ، الرباط، 1937م.

بيد الله محمد بن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق ومراجعة الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة،
ط3، 1980م.
بد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ ــ 1260م) الحلة السيداء، جزءان نشر حسين مؤنس ، القاهرة، 1963م، ج2
بد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (سنة 710هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خير ا
ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م
بد الله محمد بن محمد ابن عبد الملك الأنصاري، الأوسي، المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، قسم 4 تحقيق
، بيروت، ح، 1964م.
بيد عبد الله بن عبد العزيز البكري : المغرب في وصف أفريقية والمغرب، نشر دي سيلان، 1911م.
حمد علي بن سعيد بن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق محمد هارون، ط5، دار المعارف ، مصر. 1971م.
روان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (573هـ) الاكتفاء في أخبار الحلفاء، تحقيق تحقيق الدكتور أحمد مختار الصاوي، مدري
سات الإسلامية ، 1971م، نشر تحت عنوان تاريخ الأندلس لابن الكردبوس.
قوب يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي عباس السبتي، 617هـ ــ 122م. تحقيق أحمد توفيق، مطبعة النجا
اء، 1997م.
بيد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، 919هـ
ابن محمد بن أبي العافية المكناسي، (ابن القاضي) ط فاس، 189. ط المنصور الرباط، جذوة الاقتباس، ج1.
بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب، حققه الدكتور: إحسان عباس ، دار صادر، بيروت: ج5
يس، أبو عبد الله محمد بن إدريس (560هـ)، نزهة المشتاق في أطراف الآفاق، صفة المغرب وأرض السودان، ص: 60 –
إيطاليا، 1870م.
شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1402هـ.
شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الأخبار المراكسية، فأس، المغرب، 1352هـ، 1936م.
: أبوبكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: ليفي بروفنسال باريس، 1928م
مجد الدين أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحية الكنلي الأندلسي البلنسي : سبتة المطرب من أشعار أهل ا
إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي ، القاهرة: 1954م، مخطوط المتحف البريطاني، لندن، ر
ي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في خير من عبر، الكويت، ج3، تحقيق فؤاد سيد، 1961م،
ن عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، 1985م

ري : شهاب الدين أبو العباس: الاستقصاء لأخيار دول المغرب الأقسى، ج2، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري ، دار
البيضاء، ط2، 1997م.
أبو داؤود، الإمام أبو داؤود سليمان بن الأسحش السجستاني، كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف ، رقم الحديث 4670.
الدين أبو العباس بن خلكان، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، حققه د. إحسان عباس، ج7.
ي: أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية،
2005م
طوشي: أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، (ت 520هـ)، سراج الملوك، القاهرة، ط بولاق، 1289هـ.
لله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري : التبيان، تحقيق ليفي وفنسال. نشر بعنوان : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني
طة، القاهرة: 1955م.
مؤمن بن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، دار الجيل، ط1، 1412هـ.
واحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مراكش، تحقيق سعيد العريان، القاهرة، 1967م.
بن سعد، كتاب الأنواء والأزمنة، تقويم قرطبة. وضع عام 350 هـ ـ 366هـ. 961 م ـ 976م، نشر رينهارت دوزي، 873
دين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجوزي، الكامل في التاريخ، بيروت 1965 ـ 1967م.، دا
العربي، بيروت لبنان، 1408هـ ـ 1989م، ج9.
الدين إسماعيل بن علي بن محمود (أبو الفداء): تاريخ أبو الفداء ، ج2، المطبعة الحسينية المصرية. (د.ت).
بن خاقان، قلائد العيان في مجالس الأعيان، طبعة باريس، تونس، 1386هـ ـ 1966م.
ي عياض بن موسى بن عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (سنة 476 ـ 544هـ)، تحقيق :
محمود، بيروت: 1384هـ ـ 1965م، الجزء الرابع، (المجلد 2) 4 أجزاء، ج 3 – 4.
ي عياض بن موسى بن عياض: ترقيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، سبتة 476هـ ـ 544هـ، ت
ر أحمد بكير محمود، ج7. بيروت، 1384هـ ـ 1965م.
ل : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق د. سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء، 1979م
1، [منسوب لابن الخطيب].

ل البربر، تحقيق: ليفي بروسنفال، الرباط، 1934م.
ع رسائل بن حزم، مجموع رسائل بن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م، ج173/3.

أبو حامد الغزالي. كتاب إحياء علوم الدين، ج1، المطبعة الأزهرية، 1216هـ ، دار الفكر، 1980م
بن محمد بن الحاج أبو عبد الله، البدري المالكي، الفأسي، المدخل إلى تنمية الأعمال لتحسين النيات، 737هـ. ، المجلد (1) ، ج
ع عقيلة الغناي، سقوط دولة الموحدين، 1409 هـ ــ 1988م . منشورات جامعة قار يونس.
الإمام أحمد بن حنبل : شرح وتحقيق أحمد شاكر، أتمه : د. عبد الحسين عبد المجيد هاشم، دار المعارف، بمصر، الطبعة
(28
ي، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون العرب، ترجمة جاسبارو روميرو، مج11، ج24. دار الكتب و
رية، القاهرة، ط1، 1423هـ.
ربشي أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب،
1م.

ثانياً : المراجع باللغة العربية:

مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 287 ــ 335، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1990م.
حسني: تاريخ المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين وحتى سقوط دولة بني الأحمر، دار التعليم ال
ندرية: 2015م.
ل البستاني، معارك العرب في الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي، دار الجيل ، بيرون، 1991م.

سار الإسلام والعروبة. القاهرة، 1957م.
أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي، القاهرة.

لام والثقافة العربية في افريقية، القاهرة ، دار النهضة، 1953م.

علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي بمصر، ط1، 1980م

الأدارسة بالمغرب، قيامها وتطورها في منتصف القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير بدار العلوم بالقاهرة. 1967م.
ن مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1992م.

ر الأعلى الأندلسي، عصر المرابطين.
ي عبد المنعم محمد حسين، تاريخ المغرب والأندلس في عهد المرابطين. مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1986م
ران البارودي، الكوارث الطبيعية في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م.
ء الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية في الأندلس. مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م،
ة، بيروت، 1999م
عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية
ى أبو خليل: الزلاقة، دار الفكر ، بيروت: لبنان، ط2. 1980م
ح خالص، محمد بن عمار الأندلسي، بغداد، مطبعة الهدى، 1957
لحميد العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1958م.
الرحمن علي حجي : التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، 892- 897هـ (711 ـ 1492م). الطبعة
سورة، القاهرة، 1983م.
لعزيز بن عبد الله، تاريخ الحضارة المغربية، الرباط، 1962م.
عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة. بيروت ، 1962م.
لله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن، دار المعارف، مصر، 1971م.
لواحد أحمد شعيب، دور المرابطين في الجهاد بالأندلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس.
ت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومنهل الموحدين، دار العربي الإسلامي، بيروت، 1988م.
محمد الصلابي، تاريخ دولتي الموحدين والمرابطين في الشمال الأفريقي، دار بن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 7

تمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة إقرأ للنشر، ط1، القاهرة. 2013م.
حبيبة، مع المسلمين في الأندلس ، دار الشروق.

رفعت، المغرب كما رأيته، الرباط 1963م.
عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط2
جي ، القاهرة.
عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، الطبعة الثانية، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1969م.

قف حاسمة، في تاريخ الإسلام، القاهرة، 1952م.
د السيد عبد العزيز سالم: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007م.
العمر، سقوط الأندلس، مؤسسة المؤتمن دار الوطن، ط1، 1412هـ.
أحمد عبد الرحمن : حضارة الأندلس، الجنادرية للنشر، 2015م.
أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان للنشر، 1984م
أشياخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ترجمة محمد عبد الله عنان. 40
بن أحمد حوالة : بنو عباد في أشبلية، دراسة سياسة وحضارة، 414 ــ 484هـ ــ 1023 ــ 1091م، ط1، 1989م
شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1963م.
بدر : تاريخ الأندلس التجزؤ ــ السيادة المغربية، السقوط والتأثير الحضاري، 1983م..
غلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، دار المعارف، 1979م
ري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله ، صحيح البخاري، ج9، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ،
بن مناه، الكتابة والسياسة عند قاضي المرابطين أبي بكر المرادي الحضرمي قراءة مغايرة لمصادر كتابة الإشارة إلى أدب
ة نواكشوط، 1999م

ثالثا: المراجع الأجنبية:

(1) غوستاف لوبون ، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ط3، 1956م

(2) دائرة المعارف الإسلامية، أصدر بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، مج10، أصدرها بالعربية أحمد الشناوي، وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها دكتور محمد مهدي علام، دار الفكر، (د. ن).

(3) رينهارت دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، طبعة جديدة، باريخ، 1932م.

(4) ادورد فون زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمية في التاريخ الإسلامي، إخراج زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود ، مطبعة فؤاد الأول، 1951م.

(5) هنري بريس، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، ترجمة الطاهر أحمد المكي، دار المعارف، القاهرة، 1988م

(6) فيلب حتى د. أدورد جرجي ، د. جبرائيل جيوب، تاريخ العرب، الجزء الثاني، ط4، 1965م

رابعاً : الدوريات والمجلات:

(1) دراسات إفريقية، مجلة البحوث نصف سنوية. العدد الثاني ، شعبان 1406هـ ــ أبريل 1986م، دولة المرابطين، عباس الجراري، جامعة محمد الخامس، الرباط.

(2) ندوة عبد الله بن ياسين، 14 ديسمبر 1997م، الطبعة الأولى، 1998م، اليوكسيي للطباعة والنشر، إبراهيم حركات، الندوة 5.

خامساً : البحوث والرسائل الجامعية:

(1) عبد الباقي محمد أحمد كبير، المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، رسالة ماجستير، القاهرة، جامعة الأزهر ، 1994م.

(2) الشيخ الأمين محمد عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتن مالي والسنغي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، 1976م، ماجستير، .

(3) صلاح آدم عيسى محمد، رسالة ماجستير : قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي، إشراف دكتور عصام محمد عثمان، جامعة النيلين، 2017م،

(4) عائشة محمد الأمين، الموحدين وجهادهم في الأندلس، جامعة النيلين، رسالة ماجستير، 2015م.

(5) علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس والممالك الإسلامية، خليل إبراهيم صالح البشير، اشراف أحمد السيد دراج، 1979م، رسالة دكتوراه، القاهرة.

الملاحــق

ملحق رقم (1)

جدول أمراء المرابطين[1]

اصطحب يحي بن إبراهيم الجدالي

عبد الله بن ياسين الجزولي من القيروان سنة 440 هـ أو بعدها:

فكانت الدعوة وانضم إليها:

(1) يحي بن عمر تولى الأمر بعده سنة 446 (أو بعدها) أخوه:

(2) أبو بكر بن عمر. فأوكل هذا الأمر إلى:

(3) يوسف بن تاشفين (463 ـ محرم 500هـ)

أبوبكر سير، ولي العهد، توفى بسبتة أثناء أحداث الزلاقة (479هـ)

أبو اسحاق إبراهيم بن تعيش (قائد موقعة قشندة 14هـ

(4) علي محرم 500 - رجب 537هـ)

أبو الطاهر تميم قائد موقعة أقليش (501) تولى الأندلس

أبو عبد الله محمد بن عالمة

أبو محمد سير

(5) تاشفين (رجب 527 ـ رمضان 539هـ

(7) اسحاق (543هـ)

(6) أبو إسحاق إبراهيم (شوال 541هـ)

---

[1] عبد الرحمن حجي، مرجع سابق، ص 442.